

العدد (١٠٦)

غرة شوال ١٣٩٣

٢٧ أكتوبر ١٩٧٣

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

اقطعوا قلوبكم
ومرسلهم

الَّذِينَ يَتَّبِعُونَكَ
وَقِيلُوا لَهُمْ



قال تعالى :
« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة »
(صدق الله العظيم)

الثلثون :

فلسا ٥٠	السكويت
ريال ١	السعودية
فلسا ٧٥	المصراق
فلسا ٥٠	الأردن
١٠ قروش	ليبيا
١٢٥ مليما	تونس
دينار وربع	الجزائر
درهم وربع	المغرب
فلسا ٧٥	الخليج العربي
فلسا ٧٥	اليمن وعمان
٥٠ قرشاً	لبنان وسوريا
٤٠ مليما	مصر والسودان

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

العدد (١٠٦)

غرة شوال ١٣٩٣ هـ

٢٧ نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٧٣ م
هدفها : المزيد من الوعي ، وإيقاظ
الروح ، بعيداً عن الخلافات المذهبية
والسياسية

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
بالسكويت في فترة كل شهر عربي
الاشتراك السنوي للهيئات فقط
أما الأفراد فيشترون راساً
مع متعدد التوزيع كل في قطره

عنوان المراسلات :

مجلة الوعي الإسلامي - وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
صندوق بريد : ١٣ - كويت - هاتف : ٤٢٨٩٣٤ - ٤٢٢٠٨٨

حل للمسلمين في بلادهم ومن

* ظهر اتجاه العلمانية في المجتمعات الإسلامية بعد الحرب العالمية الأولى . وتبلور واضحا فيها بعد الحرب العالمية الثانية ، وبعد أن انتصرت فيها القوات العالميتان : القوة الشيوعية البلشفية ، والأخرى الرأسمالية الصليبية ، ودخلتا مجال المنافسة الاقتصادية في كسب ثروات المسلمين ، وهي عديدة .

وقد وجدت هاتان القوتان الأرض في البلاد الإسلامية بهياة للحصول على هذه الثروات ، بفضل ما أحدثته العلمانية من تخلخل في نفوس المعدين للقيادة في المجتمعات الإسلامية ، في صلتهم بالإسلام . إذ قد باشر الاستعمار الغربي لهذه المجتمعات من قبل أسلوب العلمانية : في القضاء .. والتعليم .. والسياسة .. وشؤون الإدارة ، طيلة مدة حكمه لها ، في إفريقيا وآسيا .

والعلمانية قد يظنها البعض : أنها الاتجاه العلمي . وليس هذا معناها . وإنما هي الاتجاه الدنيوي أو المادي في مقابل الاتجاه الروحي الذي هو للسلطة الدينية . أي هو الاتجاه الذي تباشره الدولة في شؤون الحكم ، والسياسة ، والاقتصاد ، والإدارة والدفاع والأمن في المجتمع .. الخ ، غير مقيدة بنظرة أخرى لسلطة ثانية في توجيهها ومباشرتها ، أي غير ناظرة في التوجيه والمباشرة إلى ما تراه السلطة الدينية فيها يخصها . على أن يترك للسلطة الدينية أمر الأسرة : في إيمان أفرادها .. وفي العلاقات الزوجية بينها .. وفي انجاب الأطفال من هذه العلاقات وتعميدها .. وفي رسوم دفن الموتى .. إلى غير ذلك مما يعرف للكنيسة .

العلمانية تقسم الإنسان في المجتمع بين سلطتين : أحدهما زمنية وهي الدولة .. وأخرى إلهية وهي البابوية . فالدولة لها الزام على الإنسان من جانب ، والكنيسة لها الزام أيضا عليه من جانب آخر ، وهذا التقسيم جاء نتيجة للنظرة التي يتبناها الكليروس المسيحي إلى الدنيا والمتع المادية فيها . وهي النظرة التي تفرق في القيمة والاعتبار بين المادة والروح : فبينما المادة دنسة إذا بالروح طاهرة . ومن هذه التفرقة كانت الرهبنة هدفا في نظام هذا الكليروس .. وكان الزواج أبديا ، لأنه رباط بين روحين ، قبل أن يكون رباطا بين جسدين . والمجتمع الإسلامي قد تم تكوينه في ثلاثة وعشرين عاما . ولم تعرف فيه سلطة دينية بجانب سلطة زمنية أو دنيوية ، كما لم يعرف فيه تخصيص مجال للدين ، وآخر للدولة . وقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام إمام المسلمين في الصلاة ، وقائدهم في الحرب ، وقاضيه في الخصومات التي تنشأ بينهم ، وحاكمهم يطلب منهم التنفيذ فيما يأمر به أو ينهى عنه . كانت هناك سلطة بشرية تصيب وتخطيء ، وليست سلطة دينية معصومة عن الخطأ . كانت هناك سلطة تتبادل المشورة والرأي ممن لهم شورى ورأي في الأمة الإسلامية .

الأفليب الحاضرة

للدكتور محمد البهي

ومثل ما يميز به السلطة الإسلامية عن أية سلطة بشرية أخرى : أنها تحكم بها أنزل الله في كتاب الإسلام ، وهو القرآن الذي جاء به خاتم المرسلين محمد بن عبد الله ، عليه الصلاة والسلام . وإن أصاب القائلون بأمرها في الحكم بما أنزل الله كان لهم أجران عند الله : أجر الاجتهاد ، وأجر الصواب . وإن أخطوا كان لهم أجر الاجتهاد وحده . والحاكم المسلم مجتهد ، وليس معصوما عن الخطأ . والقرآن يسجل آيات عديدة توضح عقاب الله لرسوله على رأى كان له في الحرب ، أو في سياسة الدعوة ، مما يدل على أن الرسول عليه الصلاة والسلام كحاكم أو كقائد — وليس كبلغ للوحي — مجتهد في حكمه وفي رأيه . ويخطئ بعض الكتاب من المسلمين أذ يثيرون في وجه تطبيق الإسلام في تطبيق الإسلام يلزم وجود حكومة إلهية على نمط الحكومة البابوية ، لا تخطئ المجتمعات الإسلامية المعاصرة : قضية « الحكومة الإلهية » . على معنى أن إطلاقاً ، ويجب الإيمان بعصمتها . لأنهم مع الأسف يقيسون الوضع في الإسلام على وضع الدولة الكنسية في روما ، دون أن يرجعوا إلى الإسلام في كتاب الله ، وعلى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام .

ولم تعرف الأمة الإسلامية في تاريخها : الفصل في الرياسة العامة بين سلطة زمنية وأخرى دينية ، أو « خليفة » و « سلطان » أو بين من هو رمز فقط للرباط الإسلامي في الأمة كلها ولا سلطة له ، وصاحب السلطة الحقيقية في مكان ما فيها إلا عندما سيطرت « العنصرية » و « الشعبوية » في توجيه المسلمين وقيادتهم ، والا عندما شعر حكام الولايات بضعف الحكم المركزي في بغداد . فاثروا عندئذ : الاستقلال في السلطة تحت راية الخلافة الإسلامية ، وهي علم أكثر منها مدلول . وعندئذ ابتدأ التفكك في الأمة الإسلامية يأخذ طريقه .

وتفكك أية أمة بعد تجمعها وتكتلها من شعوب عديدة ، ومن أصحاب لغات مختلفة : ظاهرة اجتماعية تطرا يوماً ما ، وتسود الأمة كذلك إلى أن يأخذ التفكك مده . ولكن لا يمنع ذلك من أن يعود شأن الأمة من جديد إلى الوحدة ، والناسك ، والتكتل ، عندما تقوى الدعوة إليها وتنحى بالتدرج عوامل الفرقة . ونشأة الوحدة من الفرقة ، كشاشة القوة من الضعف ، والأخوة من العداوة : من الظواهر الإنسانية التي تدل على التغير في المجتمع أو بين الأفراد .

وأوروبا التي كانت مفرقة إلى أوروبا اللاتينية ، والأناجلوسكسونية ، وإلى مجموعات ذات لغات عديدة : تعود اليوم إلى التجمع والتكتل من جديد ، بعد شيوع اتجاه القومية والعنصرية فيها ، وبعد أن مزقت الحروب المحلية والعالمية في القرنين التاسع عشر والعشرين العلاقات بينها شر ممزق . وواقع الأمر أن المسيحي الكاثوليكي المشترك هو الذي قاد « أيديناور » زعيم الحزب الديمقراطي

المسيحي بالمانيا الغربية المسيحية . . وديجول زعيم الكتلة الديجولية المسيحية في فرنسا الكاثوليكية ، الى الاجتماع واللقاء بينهما في مواجهة القوتين الكبيرتين اللتين اسفرت عنهما الحرب العالمية الثانية . وهما الكتلة الاتحادية الشيوعية في روسيا وشرق أوروبا ، والكتلة الرأسمالية اليهودية في الولايات المتحدة الأمريكية .

وظاهرة التفكك في الأمة الاسلامية ، منذ ان بدأ فيها التفكك تعتبر تهويدا لظاهرة أخرى تحل محلها وعلى النقيض منها . وليست ظاهرة منعزلة فسي تاريخ الأمة لا ترتبط بها بعض الظواهر الأخرى . والظاهرة المرتبطة هي ظاهرة التجمع والعودة الى التماسك من جديد ، وعلى اساس الاسلام وحده ، مهما طال الزمن بين اخفاء الاولى وظهور الثانية . وليس هذا ارهاصا أو تخميناً . انها هو قانون الحياة الانسانية القائم على مبدأ النقيض . وهو ذلك المبدأ الذي يعتبر اساس التغيير والانتقال من الشيء الى نقيضه ، ولو بعد حين .

حياة الانسان اذ تنتهي بالموت . . يكون الموت نفسه بدءا للحياة من جديد . والمجتمع اذ تنتهي صلاحيته للبقاء ، بسبب التفكك ، فالخصومة ، فالعداء بين مجموعاته وأمراده . . يكون ذلك كله من جديد مصدرا لمجتمع موحد يقوم على انقاضه . كشان تعاقب الليل والنهار : « **تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل ، وتخرج الحي من الميت ، وتخرج الميت من الحي** » (آل عمران ٢٧) .

ومجتمع شبه الجزيرة العربية قبل رسالة الاسلام لآخام الانبياء والمرسلين صلوات الله عليه كان مجتمعا مفرقا يعادى بعضه بعضا ، بسبب تكن روح القبيلة ، وعرف بأنه مجتمع حروب وقتال . ثم كانت الخصومة بين بعضه بعضا عامل تجميع ، ونشأ عنها مجتمع جديد متماسك ومتراپ . ويشير الى ذلك قوله تعالى : « **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا** » واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فآلف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمة اخوانا » (آل عمران ١٠٣) . فالآية تذكر أن مجتمع المؤمنين برسالة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وهو مجتمع متحد متماسك : نشأ من مجتمع الوثنيين السابقين ، وهو المجتمع القبلي المفرق المتقاتل .

وقد جاء في سورة محمد ما يمكن أن يكون تعبيراً عن هذا القانون للحياة الاجتماعية الانسانية ، القائم على مبدأ النقيض ، من قوله تعالى « **ها انتم اولاء (ايها المؤمنون في المجتمع الجديد) تدعون لتنفقوا في سبيل الله ، فمنكم من يبخل (أى منكم من بقى على شححه - والشح ظاهرة خاصة بالمجتمع الوثني المادى - فيمسك عن العطاء لصاحب الحاجة أو في سبيل الله ، وبذلك لم يغيره اعلانه الايمان بالله وبالمجتمع الجديد) ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ، والله الغنى وانتم الفقراء** » (ولكن نتيجة بخل الشحيح ستلحق به وحده . لانه عندئذ قد تحكمت فيه الأنانية ومن تتحكم الأنانية في تصرفاته لا يستطيع أن يعيش مع غيره . وعندئذ يتعرض للملق وكراهة الآخرين ، ولا تصيب هذه النتيجة احدا سواه . فالحال هو الغنى عما عداه ، وما عداه صاحب حاجة اليه . واذن عندما يدعو الله المؤمنين الى الاتفاق في سبيل الله لا يدعوهم الى سد حاجة اليه) ، **وان تتولوا (أى وان تعرضوا عن الايمان ببقائكم على الشح والامساك كما كنتم على عهد وثنيكم) يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم** » (أى في اعلان الايمان مع الركون الى الكفر . ولكن يكون ايمانهم عامل تحويل ونقل لهم من المجتمع الجاهلي المشترك الى المجتمع الانساني صاحب القيم الرفيعة) . (محمد ٣٨) . إذ قيام

المجتمع الانسانى المتناسك على اساس الايمان بالله والمتفق فى سبيل الله : من انقراض المجتمع السابق العايب الممزق ، والشحيح المسك . هو اشارة على ان النقيض ينشأ من نقيضه ، وان مبدأ النقيض هو مبدأ الوجود والحياة .
 * وانما السلطة الدينية وجدت - ولم تزل - للكنيسة الرومانية . وسلطانها فى الشؤون الروحية تقابل سلطة الدولة فى الشؤون الدينية فى المجتمع الكاثوليكي .

وواقع العلمانية اذن هو المجتمع الأوربي بصفة عامة ، وليس المجتمع الاسلامي . والمجتمع الأوربي صاحب سلطة مزدوجة ، بينها المجتمع الاسلامي ليست له السلطة واحدة ، وهى سلطة الحاكم المسلم الذى يعمل بالاسلام . وجوانب الحياة للانسان هى جوانب متساوية فى نظر الاسلام ، من حيث القيمة والاعتبار . أى ليست فيها مدنى ، وصاحب قدسية ، والروحية فى الاسلام ليست الا المستوى الفاضل فى الإنسانية . وقد جاء تحديد هذا المستوى فى هداية الله فى كتابه .

* وظهور اتجاه العلمانية فى المجتمعات الاسلامية ، ثم تمكنه منها وبالأخص بعد الحرب العالمية الثانية - أدى الى ان يترك شؤون المسلمين مع الاسلام كدين وإيمان : بدون قيادة وتوجيه فى المجتمع . لأن الحاكم المسلم العلماني يهمل فى الدرجة الأولى ان يحتفظ بسلطة الحكم . واحتفاظه بسلطة الحكم مرموز على الأقل باغفال الوضع الاسلامي فى المجتمع الذى يحكم فيه . أى باغفال بمسائلته عن الحكم امام الاسلام ، وما يوجب من صلاحية الحاكم والشورى المتبادلة فى الحكم .

وفى الوقت الذى تهمل فيه شؤون المسلمين فى صلتهم بالاسلام ، ويضعف بينهم الترابط على اساس منه : يقوى فيه شأن الاقلية الدينية غير الاسلامية ، ويزداد التماسك بينها على اساس من معتقداتهم . وكلما أهمل شأن الاسلام بين المسلمين من السلطة العلمانية الحاكمة ، كلما قويت فى المجتمعات الاسلامية شوكة الاقلية الدينية ، وكلما تطلمت الى التريص بالمسلمين لزيادة ضعفهم وتفككهم ، عندما تحين فرصة التدخل بينهم بصورة او بأخرى ، لأن فى زيادة تفكك المسلمين وهم الاكثرية : قوة اضافية - بجانب تحصيل العلم ، وادخال المال - للأقلية الطائفية بينهم .

وهذه الظاهرة العكسية بين ضعف المسلمين ككثرة فى المجتمع ، وقوة غيرهم كالأقلية فيه : تحمل الحاكم العلماني المسلم على ان يخشى نفوذ الأقلية فى مجتمعه ، فى الوقت الذى يستخف فيه بجانب المسلمين - بل ويسخر منهم أحياناً - وهم الكثرة فيه . وخشيته من الأقلية من جانب ، واستخفافه بالكثرة المسلمة من جانب آخر : ينصبان فقط على الناحية الدينية لكل من المجموعتين ، الاكثرية والأقلية . وهذه الظاهرة فى جانب الحاكم المسلم العلماني تبدو فى تصرفاته ومواقفه ازاء الطرفين :

- فهو لا يتدخل فى الشؤون الدينية والتنظيمية للأقلية :
- ولا يتدخل فى تغيير رجال الدين بين أية أقلية دينية ،
- ولا يتدخل فى أوقافها الخيرية ،
- ولا يتدخل فى مدارسها الطائفية : لا بالالغاء ، ولا بالضم ،
- ولا يتدخل فى معاهدها الخاصة بدراسة اللاهوت ،
- ولا يتدخل فى تكوين سلطاتها الدينية ، وشؤون الرياسة فيها ،
- ولا يتدخل فى تعديل قوانين الأحوال الشخصية للأسرة فيها .

✽ بينما يتدخل — وقد يكون في عنف وفي حقد أحيانا — في كل ما للمسلمين مما يتصل بإيمانهم بالاسلام :

فهو يتدخل في أوقاف المسلمين بالتغيير ، وينقل الملكية ، والغناثا ، ويتدخل في مدارس الجمعيات الخيرية فيجردها عن ميزتها وهي تحفيظ التلاميذ فيها بعض أجزاء من القرآن الكريم ، والعناية بتاريخ الاسلام وسيرة الرسول عليه الصلاة والسلام والخلفاء الراشدين ، ويحولها الى مدارس علمانية حكومية .

ويتدخل في اقامة المسلمين بالتغيير ، وفي المعاهد الاسلامية بما يقربها الى النمط الرسمي العلماني ،

ويتدخل في الكليات الجامعية الاسلامية فيلحقها بالجامعات العلمانية ، ويصبح الاسلام فيها مادة تدرس وليس إيمانا يطبق ،

ويتدخل في تعديل قوانين الأحوال الشخصية للأسرة المسلمة . وقد يكون التعديل مساوقة لتشريع أجنبي بعيد عن روح الاسلام ،

ويتدخل في تعديل انصبة النساء في الميراث بما يجعلها مساوية لانصبة الذكور فيه ،

ويتدخل في تعديل غروض الاسلام في العبادة ، فينكر الصوم مثلا كعبادة يتقرب بها المسلم الى الله ،

وهكذا : الحكم الوطني في المجتمعات الاسلامية بعد استقلالها السياسي يتم ما بداه الحكم الاستعماري في شأن القضاء على الاسلام اiban حكمه المباشر .

وكثير من المسلمين يتصورون حتى الآن ان الاستعمار للمجتمعات الاسلامية كان في الدرجة الاولى : استعمارا سياسيا ، واقتصاديا وعسكريا . وهذا

النصور بعيد عن الواقع . لان الاستعمار كان استعمارا فكريا ، وعقائديا ، قبل أن يكون سياسيا ، واقتصاديا ، وعسكريا . ولو ان المستعمرين كان مجيئهم

الى البلاد الاسلامية ليستغلوا مباشرة : مصادر الثروة فيها طوال مدة وجودهم الاستعماري ، وليوجهوا سياسة هذه البلاد للتمكن فقط من الاستغلال الاقتصادي

في هذه الفترة وحدها ، وليضربوا بالوجود العسكري لهم فيها ترحيل الغنائم الاقتصادية الى بلادهم .. لم يكونوا قد أدوا رسالتهم التي تسلموها من الكنيسة

الرومانية باسم الصليب في سنة ١٠٩٦ ، واستمروا يدافعون عنها في سبع حملات وجهت من الأوربيين الصليبيين ضد المسلمين في القرون الثلاثة : الحادي

عشر ، والثاني عشر ، والثالث عشر .. أي استمر الأوربيون في حملاتهم من أجلها من سنة ١٠٩٦ الى سنة ١٢٧٠ م ، واشترك فيها قيصر بروسيا الألمانية

فريدريك الثاني ، ولويس التاسع في فرنسا (١) . وكانت رسالة الكنيسة في ظاهرها : استيلاء المسيحية الغربية على فلسطين واتخاذ بيت المقدس عاصمة

لمملكتها . ولكن في واقعها كانت هذه الرسالة تنبئ عن اقتحام العالم الاسلامي والتمكن من مركزه الذي يلتقي بالقارات الثلاث : افريقيا ، وآسيا ، وأوربا ..

وبالتالي تنبئ عن الرغبة في السيطرة على « الملاحدة » وهم المسلمون — كما تصفهم كنيسة روما — وتحويلهم عن الاسلام الذي يدعو : الى وحدة الالهية

في مواجهة التثليث في دعوة الكنيسة ، والذي يجعل عصبة الانسان — وهو الرسول لا غيره — في دائرة تبليغ

الوحي الالهي وحده ، دون ما عدا الوحي فانه يجوز عليه فيه الخطأ والصواب ، في مقابل ما تدعو اليه الكنيسة من عصبة الانسان تصور أن يتخسبه على عرش

الملك الكنيسة ويصبح بابا ، في كل ما يدينه من قول أو شرح يتعلق بالمسيحية ،

والذى يدعو الى المساواة امام الله فى المسؤولية ، ورفع الوساطة بين الانسان والله فى مواجهة : « الاعتراف » و « صكوك الغفران » اللذين يتميز بهما رجال الكنيسة عن اتباعها الآخرين ،
والذى يبيع الطلاق بين الزوجين ، وينظر الى عقد الزوجية على انه عقد انساني يجوز عليه ما يجوز على اى عقد آخر فى المعاملات الانسانية من حل ، وفسخ ، ان ادى استمراره الى ضرر او انكشف امره عن خدمة ، وليس عقدا الهيا لا يقبل التغيير بحال ، مهما كانت له من اضرار ، كما تنتظر اليه الكنيسة ... الخ .

وعندما وقعت الهدنة فى الحرب العالمية الاولى ودخلت الجيوش البريطانية فلسطين اعلن قائدها وقتئذ : « ان الحرب الصليبية قد انتهت الآن » . كما اعلن قائد القوات الفرنسية عندما دخلت دمشق ، وهو واقف على قبر صلاح الدين الايوبي : نحن قد جئنا الى هنا ياصلاح !! .

ولم يكن ما اعلنه القائدان الاوربيان مزاحا ، وانما كان تنفيسا عن حقد دفين ، وتعميرا عن الهدف الحقيقى للحروب الصليبية . وهو التكن من الاسلام ، بابعاد المسلمين عنه . وبذلك يتفرق المسلمون ويصبحون اتباعا لاتجاهات اجنبية عنهم ، كما ينزوى الاسلام فى ركن الاهمال ، ثم النسيان .
واذا كانت الحملات الصليبية فى القرون الثلاثة ، من الحادى عشر الى الثالث عشر الميلادى ، كانت تحمل نوايا العدوان على الاسلام : فان الاستعمار الغربى — الذى يعد استمرارا لها فى القرنين : التاسع عشر والعشرين — يعتبر الوسيلة العملية لتنفيذ هذا العدوان .

والعلمانية التى اشتقت منها كانت المول الذى — بعد ان باشره — تركه للحكام الوطنيين بعده ، عندما يتولون الحكم فى مجتمعاتهم .
وبما يكون الحكم الوطنى فى بعض المجتمعات الاسلامية — بعد استقلالها السياسى — اكثر ضراوة وقسوة فى تمكين العلمانية من المستعمرين انفسهم . لان الحاكم الوطنى المسلم العلمانى يرى فى ضعف الاسلام والوعى به : السبيل الوحيدة لضمان بقائه فى الحكم ، بجانب بنائه قوة مسلحة تسهم فى المحافظة عليه . اذ كلما ضعف الاسلام وضعف الترابط فى المجتمع على اساس منه ، كلما لا يعود الناس بحكم الحاكم الى الكتاب والسنة ، وكلما لا يسألونه تطبيق ما فيها من مبادئ . وعندئذ لا تتعرض صلاحية الحاكم فى حكمه للمناقشة ، وان كان منفععا فى السياسة ، وطائشا فى التصرف ، وطاغيا بالسلطة ، طالما هو قابض على زمام الامر بالقوة .

وعلى العكس مما لو قوى الوعى بالاسلام فى المجتمع ، وتجلت للناس ما فيه من حقوق وواجبات ، عند الدعوة اليها . فانه لا يبقى آئذ حاكم مسلم فى الحكم ، الا من هو وفى لايامه ، وتقى فى سلوكه ، ورحيم بامته ، وخير فى اتجاهه . ولما يكون هذا النوع من الحكام الذين يجعلون هواهم مقياس العدل ، ومصدر التشريع ، والسلطة فى المجتمع .

كذلك من شأن مباشرة الحكم العلمانى ان يسد الطريق على الاسلام الذى يعطى المشورة فى الحكم ، ويقدم الحل لمشاكل المجتمع والحياة الانسانية ، بينما يفتح الأبواب لاهور هاشمية كاحياء بعض كتب التراث التى قلما تفك رموزها الا من سمى المتخصصين فى تخريجها . . . واهور اخرى صليبية كالدعوة السنية ما يشبه الفرافرة فى كرامات الموتى ، والدعوة الى العزلة والاستسلام للسنة .

الحياة للتقدم ، دون اتخاذ موقف ايجابي ازاء الأحداث يستند الى التوكل على الله جلت قدرته .

والحكم العلماني عندما يشجع في المجتمعات الاسلامية ترديد هذه الأمور الهابشية والسلبية مما ينقل من بعض كتب المسلمين فيها مضى ، فانه يصنع ذلك رغبة في صرف المسلمين في المجتمع عن الاسلام في ايجابيته . وقد كان الاستعمار الفرنسي في شمال افريقيا يدفع اiban حكه الى العنصرية بثل هذه السبلات فيها يتصل بالاسلام ، في الوقت الذي يكبت فيه دعوة القرآن الى مقاومة الحاكم الظالم والاجنبى عن الاسلام ، ومساواة المسلم الذي يواليه ويعاونه . وراجت - من أجل ذلك - في عهد الفرنسيين : « الطرقية » وكثرت فترتها ، واشتد أمر القائمين عليها .

وربما يكون هناك هدف آخر من وراء تشجيع الحاكم المسلم العلماني لهذا الجانب الضعيف في كتابة المسلمين السابقين ، عن الاسلام . وهو القصد الى التوجيه لمحاولة اقتناع العامة في المجتمع بأن نظام الحكم القائم يعني بالاسلام ، اذ ينشر بعض كتب التراث ، ويحيى بعض قصص الاولياء والكرامات !! .

✽ وعن هذا الطريق - وهو طريق تشجيع الأمور الهامشية والسلبية في كتابة المسلمين السابقين - ينشأ جيل ، او عدة أجيال لا تعرف من الاسلام إلا سلبيات المسلمين في فهم دينهم وفيما كتبوه أيام ضعفهم او محنتهم . وبذلك لا يستطيع أن يرشد علماء هذه الأجيال حكام المسلمين ، فضلا أن يستطيعوا أن يقدموا لهم الصورة الايجابية للإيمان بالاسلام . وهذا يعني : أن يزداد ضعف الترابط بين المسلمين على أساس من اسلامهم .. وبالتالي أن يزداد الميل الى اتباع الحاكم العلماني ، والاختذ بنهج العلمانية فسي شئون المجتمع ، كأم لا يناقش .

وعلماء المسلمين آنئذ قد يستهترون وضع الاسلام في خدمة العلمانية ، كما قد يبررون للحاكم المسلم العلماني : دعوته واتجاهه في الحكم . ولا غفاسة عليهم يومنذ إن يذلوا جهدهم الفكرى في الملائمة بين الاسلام في مبادئه ودعوته وأحداث المسلمين الأوائل في نصرهم وهزيمتهم .. واتجاه الحاكم في خطته وما يعرض له من حوادث ويعترضه من صعاب .

وقريتهم التي يتقربون بها الى هذا الحاكم العلماني : أنهم يصفون وقار الايمان بالاسلام على كل تصرف له ، وعلى كل كلمة يكتبها او ينطق بها .

✽ والأقليات الدينية في المجتمعات الاسلامية اذا كانت اساسا ، تنشد كظاهرة نفسية من ظواهرها : العلم وتحصيله من جانب .. والمال وادخاره من جانب آخر ، كمعصرين يكونان قوة تستند اليها في مواجهة الاكثريه في المجتمع .. فانها عندما ترى تسلط الحاكم المسلم العلماني على المسلمين : تسعى لأن تشاركه في صرف المسلمين عن دينهم ، ولكن بطريق ملتو وغير مباشر . ومشاركة هذه الأقليات للحاكم وقتئذ في ذلك لا تعبر عن الولاء منها له ، ولا تدل على رغبة منها في استمرار حكمه . ولكن لأن في المشاركة له عنصرا آخر من عناصر القوة لها ، يضم الى العلم والمال ، اللذين تسعى للحصول عليهما ، وهو عنصر اضعاف المسلمين .

وطريق الأقليات الدينية في صرف المسلمين عن دينهم في مجتمعاتهم يكون : بتبني بعض رجال هذه الأقليات لفكر اجنبى عن الاسلام ، وهو مناوئ له . ومن شأنه أن يثير الشك والقلق في نفوس المسلمين - وبخاصة الشسباب بينهم

ثم من شأنه أيضا أن يؤلف من المسلمين أنفسهم مناصرين له . وقد يحوله هؤلاء المناصرون الى فلسفة حكم ، ثم الى نظام للحكم نفسه ، يوجه ضد الاسلام ذاته ، وربما يكون من غير قصد لهؤلاء المناصرين . فقد يتصدى نفر من الاقليات لفكر إلحادى فى أمة مسلمة كالامة العربية .. وقد يتعرض بعض آخر منها لقومية أمرغت من مضمونها وهو الاسلام وتاريخه . وهذا النفر وذاك يصبح فى مركز الزعامة والقيادة الفكرية للمسلمين ، ويلقى استجابة من هنا ، وهناك .

وقد يكون بحمل هؤلاء الذين ينتمون الى الاقليات الدينية : ذلك الفكر الالحادى ، أو القومية الخاوية السى التلاميذ والشبان المسلمين فى صفوف مدارسهم ، أو فى كليات جامعاتهم ،

وقد يكون بعرض هذا وذاك فى وسائل الاعلام المختلفة .. وفى كتابات التمثيليات ، والمسرحيات ، والقصص السينمائية .

وهذا البعض من الاقليات الذى يضع ذلك يلقي الدم من هبات خارجية من المجتمعات الاسلامية ، وتوفر له الحماية الكافية . وهى هبات قد يبدو ان صلة بعضها ببعض صلة واهية ، ولكن هى على اتفاق تام فيما بينها : على اضعاف الاسلام ، ثم نزع واستئصاله من أرض المسلمين . وأحداث يونيه عام ١٩٦٧ فى مصر .. وديسمبر سنة ١٩٧١ فى باكستان ، وما يتوقع لها من تفتت آخر .. ويولية ١٩٧٣ فى افغانستان : تشير الى الاتفاق بين هذه الهيئات الدولية على تحويل المسلمين الى اتباع فى اية بقعة يعيشون فيها .

* وهكذا : الاتجاه العلمائى — فيما يبدو — يسمى الى تحويل المسلمين الى كثرة « كفناء السيل » لا حول لها ولا قوة ، الى هز الأرض تحت أقدامهم .

وهكذا : أصبح وضع الكثرة المسلمة فى المجتمعات الاسلامية العلمانية يشبه وضع الاقليات الدينية ، ولكن مع فارق واحد . وهو ان الأقلية الدينية فى المجتمعات الاسلامية اقلية هادئة : تسمى الى المحافظة على بقائها . بينما الأكثرية المسلمة . التى تحول شأنها فى مجتمعاتها الى وضع الأقلية — هى اقلية حائرة : ليس لها إمام ولا رائد .. وليس لها سند ولا قوة .. وبينها وبين كتاب الله حجاب .

(١) وتواريخ هذه الصلوات كالتالى :

- الصلة الأولى : من سنة ١٠٩٦ — ١١٩٩ ، والصلة الثانية : من سنة ١١٤٧ — ١١٤٩ ، والصلة الثالثة : من سنة ١١٨٩ — ١١٩٢ ، والصلة الرابعة : من سنة ١٢٠٢ — ١٢٠٤ ، والصلة الخامسة : من سنة ١٢٢٨ — ١٢٢٩ ، والصلة السادسة والسابعة من سنة ١٢٤٨ — ١٢٧٠ م .

رمضان والعيد

الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

طلب الى أن أتحدث عن رمضان ، وما اظن الا ان وقت الحديث عنه قد فات ، وما اظن الا أنني إن كتبت عنه . قراه الناس في أعقابهِ . ولكني سأكتب في بحث يتناول قدراً مشتركاً يتعلق بكل من رمضان والعيد وكثير من المواسم الإسلامية الأخرى . إنه البحث في مشكلة تحول القيم ! ..

وإنها لمن أخطر المشاكل التي تحيق بحياتنا الإسلامية والاجتماعية دون أن نشعر ، ولعل أهم أسباب خطورتها يكمن في صعوبة التنبه اليها والشعور بها ! ..

نحن نحتفل برمضان على كل المستويات وفي سائر المرافق المختلفة، ما في ذلك شك . نحتفل به في أسواقنا وحواريها ، ونحتفل به في مساجدنا ، ونحتفل به في أذاعتنا المتنوعة ، ونحتفل به في جرائدنا ومجلاتنا المختلفة، ثم إننا نحتفل به بفرقتين في بيوتنا ومع أهلينا وأقاربنا ولكننا من خلال ذلك لا نكاد نقدم لهذا الشهر أي عمل يرضى الإله الذي جعله أفضل شهور السنة على الإطلاق ! .. بل إننا لا نكاد نشعر بهذا التقصير أيضاً ، لأن في احتفالاتنا ومباهجنا الصاخبة الأخرى ما يحول بيننا وبين هذا الشعور . أي أن في ذلك نوعاً من التعويض أو الإلهاء الذي ينسى الإنسان حقيقة هذا الشهر ، والمهمة الحقيقية التي يجب على الإنسان أن يؤديها عند قدومه .

فنحن نحتفل برمضان في أسواقنا ، حتى لا يكاد يمر من السوق إنسان قد نسى التاريخ الا ويذكره السوق من نسيان ، وينبهه الى أنه يعيش في أيام رمضان . ولكنه لا يرى من علائمه إلا الماكولات الموسمية

ومشكلة تحول القسيم

التي عرف بها وشعارات اللهو التي أقيمت فرحا بقدومه وقيامها بحقه ! . ونحن نحتفل به في مساجدنا ، ولكنه احتفال لا يبدو في أكثر من قناديلها المضيئة ، فان ارتفع الأمر على ذلك تجلى في أصوات القارئ وهي تترنم في تردد آي القرآن وترجييعه ، ومن حولهم عابدة الناس ، وهم ما بين مفتون بجمال الصوت تهزه النغمة ويسكره اللحن ، ومستريح الى انس المكان وزحمة الوافدين ، فهو ياوى اليه طلبا لراحة جسم أو هدوء بال .

ونحن نحتفل به في اذاعتنا المسموعة والمرئية . ولكنه احتفال على طريقتها ، خاضع لوظيفتها ، تابع لرسالتها . فهو يبدو في أفانيها الجديدة ، وحفلاتها الساهرة الكثيرة ، وملهياتها التي تفوق العد والحصر فان زاد الأمر على ذلك ، تجلى في أحاديث دينية معينة تذاع للتشكيل والتلوين ، ليس فيها ما ينهض بالسامع الى أي اصلاح لفساد ولا إلى أي تقويم لامعوجاج . وإنما هي جزء متمم لصورة فنية في لوحة يمكن أن يعبر بها أي فنان حديث عن شهر رمضان ! ..

وجرائدنا ومجلاتنا هي الأخرى تحتفل بـرمضان . ولكنه احتفال على طريقتها ، تابع من وحى رسالتها ، سائر وراء آمانيها وأهدافها . إنه احتفال يتجلى في الرسوم وبراعتها الفنية ، ثم يتجلى في الاستطلاعات والتحقيقات التي تكشف عن لون من ألوان الحياة — أيا كانت — في رمضان . فان زاد الأمر على ذلك تجلى في كلمات أو مقالات تتحدث عن رمضان من بعد ، حديث متخوف يحذر من أن يدنو إليه ميثاثر به أو يقع تحت سلطان جاذبيته ! .. قد يكون الحديث متناولا لأحداث

تاريخية من تلك التي تتعلق برمضان، وقد يكون متعلقا بشيء من مباحث علوم القرآن ، وقد يكون حديثا تصويريا عن ذكريات جميلة لشهر رمضان ولكنه على كل حال ما ينبغي أن يكون حديثا جادا يهدف الى إصلاح أى فساد أو تقويم أى اعوجاج أو النظر فى أى داء من هذه الأدواء الخطيرة التي تقود حياة المسلمين إلى الدمار ! ..

ثم إننا نحتفل برمضان فى بيوتنا أيضا ، فمتداعى الأسر والأقارب والأهلون فى ليالى هذا الشهر لقتل الوقت وإشاعة اللهو وفتح باب المجون ، ويمضى الليل كله سهرا فى طريق الشيطان ، حتى إذا أقبل السحر ومن وراءه الفجر والشرق — وهو أفضل ساعات العمر المتكررة فى كل يوم وليلة — جاء وقت الرقاد الثقيل بعد طعام ثقيل وبعد لهو أشد وأثقل ! .. وتكرر احتفالات البيوت بشهر رمضان على هذا النحو ثلاثين مرة . وينسلخ رمضان وهو يشيع بهذا اللون من التقدير والتقويم ! .. ينسلخ الشهر المبارك العظيم ، وقد آتقن الجميع أنهم أدوا رسالة الشهر — أى رسالتهم فيه — على خير ما يرام ! .. والشهر المبارك لم يفضلته خالفه على سائر أشهر السنة من أجل شيء من هذا كله ، وإنما جعله الله تعالى نافذة رجوع إليه ، يراها أباه من أغلق السبيل على نفسه بكثرة المعاصي والآثام ! .. وجعله الله تعالى بمثابة اصطلاح مع الله تعالى وعهد جديد على السير فى طريقه والتمسك بمنهجه وشرعته فى الحياة . وجعله الله تعالى بارقة من الدهر ، تتكرر مرة كل عام ، تفتتح فيها آذان السماء ويصطبغ الكون كله فيها برحمة الله ، فى استقبال من جاء هاربا من ذنبه ، ساعيا وراء رحمة ربه ، يناجيه بقلب صادق الخشية والخضوع أن يغفر له أيامه الخوالى ، ويهيئ له سبيل استقامة فى بقية أيامه من الحياة .

وإنما يكون الاحتفال بشهر هذا شأنه ، بمزيد من العبودية يتجلبب بها الإنسان ، وبمزيد من الوقت يوغره لأداء حق الله ، وبمزيد من الجهد يبذله للتنزه مما قد علق به من السيئات والآثام .

وما أشبه الذى يبلأ أيام هذا الشهر بأثنين جديدة من لهوه ومجونه ومعاصيه ، بمن يسخر من الفضيلة التي بها الله تعالى فيه والمزية التي اختصه بها دون سائر الأشهر والأيام . وما أقرب من استقبال مواسم الله تعالى بمكس ما قد هيأها الله له ، إلى غضب الهى يحق به ثم لا ينفك عنه حتى يجد نفسه متغلا بشقائه وأغلاله يوم القيامة .

★ ★ ★

فاذا قضى شهر الصوم وجاء فى أعقابهِ العيد ، استقبله الناس — إلا من رحم الله — بنفس المقلّيس المقلوبة ! ..

جعل الله العيد ، إذ يأتي على إثر الخروج من شهر الصوم ،
 مثابة شكر لله تعالى على أن وفق المسلم لصوم رمضان كما أمر الله
 وشغل أيامه ولياليه بصالح الأعمال ، فاستحق بذلك أن يكون من
 المغفورين والعتقاء . ثم إن الله تعالى جعل هذا اليوم (بعد ثلاثين يوما
 من الإمساك عن الطعام ابتغاء مرضاة الله عز وجل) موعداً ضيافة منه
 سبحانه وتعالى لعباده ، يلتقى فيه المؤمنون على مائدة الرحمن جل
 جلاله . فهو لذلك يوم أكل وشرب وتمتع بالطيبات التي أحلها الله تعالى
 يحظر فيه الصوم لأنه إمرأى من ضيافة الرحمن جل جلاله . ويندب فيه
 إظهار النعمة والتمتع برحمتها مع الاستغراق في شكر الله تعالى عليها ،
 لأنها الشريعة المتفقة مع طبيعة ذلك اليوم . ويندب فيه ندبا عظيما
 تحسس أحوال المسلمين حتى إذا سمع بأسرة معوزة أو برجل فقير ،
 أو بذى بلاء قد نزل به ، أو رأى طفلا لم تدخل فرحة العيد إلى قلوبهم
 لسوء أو ضرر قد نزل بهم — أسرع فواسى الأسرة المعوزة وأكرم الرجل
 الفقير ، وأعان المبتلى على بلائه ، وأدخل الفرحة إلى قلوب الأطفال
 الحزوين ، وذلك تخلقا بأخلاق الله عز وجل واستدرازا للمزيد من
 رحمته عز وجل بعباده ، فإن رحمة الله تعالى أقرب ما تكون إلى العبد
 عندما يرى العبد أرحم ما يكون لإخوانه الذين من حوله .

فإذا رأى العبد نفسه موافقا لذلك كله ، استغرق في شكر الله عز
 وجل ، وتضاملا ذليلا تحت ظلال رحمته والأمل العظيم في عفو . وإيم
 يكون ذلك بالتزام حدوده ، والسير في منهاجه وصراطه ، والمعاهدة على
 تسخير عمره في سبيل مرضاة الله عز وجل والدفاع عن دينه والدموع
 إلى سبيله .

فذلك هو معنى العيد كما قد شرعه الله عز وجل . سواء جاء من
 وراء شهر الصوم ، أو جاء في تبة موسم الحج إلى بيته العتيق .
 ولتكننا نحفل بالعيد على طريقة أخرى . . .

نظهر النعمة لننظر بها ، ونقلب في الطيبات المختلفة لنحارب
 الله بها ، ونعتمد إلى الوقت المبارك الثمين فنقتله لهواً ومجوناً وبحنا من
 ألوان المحرمات كلها . فما من كبيرة من الكبائر إلا وترتكب في هذا اليوم
 احتفالاً بقدمه وأكراما لجليل قدره . . .

فأعجب ليوم كان ظليلا برحمة الله وعظيم إثمائه ، أن ينقلب
 ليصبح ملونا بظلل من غضب الله وسوء عقابه . . . !

وأعجب لناس يؤمنون — فيما يزعمون بالله — ثم يبدلون نعمة
 الله كرا ، ويمهدون إلى مواسم الخير في أيام الله تعالى فيزعمونها—
 معاصي وظلمات وشرا . . . !

واعجب لناس ، يرون بأعينهم أسباب الغضب الإلهي الذي حل ببني إسرائيل بعد أن كانوا من خيرة الناس ، وبعد أن غمرهم الله بفضل ، ثم يتلمسون بقصرفاتهم ووقع أقدامهم تلك الأسباب ذاتها لا ينحرفون عنها يمنة ولا يسرة . رغم أن إنذار الله تعالى لأولئك المغضوبين لا يزال يصك أسباعهم قائلا :

« .. كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى » .

بل اعجب لناس أماض الله تعالى النعمة على حياتهم ، وجمع سمع الناس على أقوالهم ، أو علق أفئدتهم وأبصارهم بما قد تنفته أقدامهم — فراحوا يسخرون نعمة الله لحرب شريعته ويستعملون السننهم وأتلامهم لإبعاد الناس عن صراطه . حتى جعلوا لأنفسهم من السننهم وأتلامهم العجيبة (صدقة جارية) تدمر إلى ما بعد موتهم بأقدام المخدوعين بكلامهم والمأخوذون بأصاليهم ! ..

★ ★ ★

مشكلة تحول القيم ! ..

أجل إنها مشكلة المشاكل في حياتنا ، وليس الحديث عنها حديث العيد أو رمضان . ولكنه حديث كل مظهر أو تهيئة إسلامية في حياتنا . لقد نجح التخطيط الماكر الخبيث في أن يبقى عليها حتى لا تثار عواطف الإسلام في صدور المسلمين ، على أن تفرغ من مضامينها وآثارها الحقيقية ، ثم تحشى بمضامين وآثار أخرى لا شأن لها بالإسلام ولا تحقق شيئا من مرضاة الله عز وجل .

المساجد ! .. لقد كانت المساجد في حياة المسلمين عنوان عبوديتهم لله تعالى ، ومغتسلا طاهرا يغسل أفئدتهم وعقولهم من وساوس الدنيا وشهواتها .

وكان إذا دخلها المسلم رآها تجمع بدروس العلم كله من توحيد وفقه وسيرة وتفسير ومنطق وعربية وغيرها . فيها أصابة خارج المسجد من رشاش الشبه ووساوس الإلحاد والفسوق ودخائل الريبة ، وجد في داخلها ما يطرد من قلبه كل شبهة ووسواس وينبه عقله إلى الحق الإلهي مؤسسا على أتم قواعد العلم وأصدقها .

أما المساجد اليوم ، فهي على كثرتها واتساعها وضخامة بنياتها لا تمت بصلة ما آلى تلك الرسالة التي أتميت من أجلها بمساجد الإسلام في الأمس ! .. اللهم إلا أداء الصلوات الخمس في اليوم والليلة .

فهي ليست عنوان عبودية لله ، لأن في ضخامة مرشها وأعاجيب زخرفها وروعة أضوائها وقناديلها ما يغير الداخل إليها في حالة من الذهول والنسيان والبعد من هويته الحقيقية في هذه الحياة .

وليت تسمرى الى اى مقر يتجه الفقير الذى كان يفر بالأمس من زخرف الدنيا ووساوس أصحابها وملاحقة مفاتنها الى مساجد الله تعالى ، حيث يرى فيها أمن قلبه ، وطمأنينة باله ، وتنقله رحابها الإلهية الى تصور يوم القيامة وما وراء قنطرة هذه الدنيا من أحداث الحياة الآخرة . . ؟ الى اى مقر يتجه هذا الفقير اذا اقبل الى المساجد فزأغ بصره ما بين تحف السجاد النادرة وروعة القناديل العظيمة ، ومظاهر الزخرف العجيب وراى نفسه مشغولة فى شر مما قد أراد أن يفر منه . . ؟ !

وهى ليست مفتسلا باردا يطهر قلب المؤمن من لغو الدنيا ووساوسها ومغرياتها ، لأن جميع ما حوله مغريات ومنسيات . . !

ولقد دخلت ذات يوم الى مسجد من هذه المساجد العجيبة ، فما كبرت تكبيرة الإحرام حتى انخطف بصرى الى لون السجاد الذى تحت قدمى وزخرفه الرائع العجيب ، وشرد لمكرى وراء نوع هذا السجاد وقينته ، وما صحوت الى صلاتى وقراضى إلا وأنا اتسائل فى نفسى عن الذى تبرع به القيمة المالية التى تستحقه . . !

ربما كان فى الصلوتين من هم اقدر على حضور القلب وخشبة النفس منى . ولكن المساجد ما أقامها الله تعالى إلا لاصلاح قلوب الغافلين من أمثالى وامانتهم فى طريق الصحر الى مناجاة الله فكيف تصلح قلوب الغافلين فى مساجد من هذا النوع ؟ . .

وهذا كله ليس نقدا على ما ينبغى أن يتصف به المسجد من متاته فى البناء ونظافته فى المظهر وجدة فى المفروض . فما ينبغى أن يلتبس على القارىء هذا بذاك .

ومساجد اليوم ليست أيضا — إلا قليلا — ملأية لعلم ولا مرجعا لهم ولا معتصما من زيغ . وإنما هى لأداء فروض خبسة لا مزيد عليها الا أن يتطلق طائفة من الناس على وعظ لا يغنى عن السامعين شيئا ولا يكاد يصلح لهم حالا أو يقوم اموجاجا .

ولما اصبح الاسلام فى كثير من مساجد هذا العصر منتويا الى الحالة التى وصفناها تيسر لكثير من الناس أن يكتبوا أو يتحدثوا عن الاسلام من هذا الجانب ، يومهم أحدهم أنه يتحدث الى الناس حديثا اسلاميا مفيدا ، وهو انما يتحدث عن فن البناء والعمران ، ويفيض فى الحديث عن مساجد عظيمة البنيان والفرش والاتساع ، وعن أبداع ما انتهى اليه الفن العربى من الزخرفة والنقوش .

* * *

وخدمة القرآن ! . . انها من أخطر القيم الاسلامية التى من شأنها أن توجه حياة المسلمين الى صراط الله تعالى وتضبطها بهديه وحكمه . وإنما هى — فيها نعلمه من هدى الاسلام — أن يتقنه المسلمون

تلاوة ، ويمعكوا عليه مهما وتدبرا وحفظا ، وتخضع له البابهم وتخبت له نفوسهم ، ثم ان يقودهم ذلك كله الى الخضوع لسلطانه والدخول تحت حكمه ومنهجه .

ولكن القرآن اليوم يخدم بطريقة أخرى ! ..
انه اليوم اهم وسيلة من وسائل التطريب (على اننا لا نمنع ان يجمل القارئ كتاب الله بصوته) ، يقرؤه التالى ليطرب الناس ، ويقبل اليه المستمعون لتتهزأ بانغامه رعوسهم ! .. وهو اليوم اهم مادة لتجبييل فصول الكلام ، وتدييح الخطب والمحاضرات ، ولاتخاذة ديباجة لمختلف المجامع والحنلات .

حتى اذا نودى بضرورة تطبيق احكامه والسير في ظلال سلطانه ، اختنق النداء في حلق المنادين ومات قبل ان يبلغ آذان السامعين ! ..
نهز الراس طربا لصوت القارئ وهو يردد قول الله تعالى
« يا ايها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين .. » .
حتى اذا قام منا من يذكر المسلمين بأمر الله المطوى في هذا الكلام ويندبهم الى تطبيقه والأخذ به ، لوينا الرعوس إمرأضا ، وأطلقنا الألسنة نعدا واعتراضا .

★ ★ ★
إنها مشكلة كثير بل أكثر القيم الإسلامية في حياتنا اليوم ! ..
تحتفل بها ، ونضمها من حياتنا الاجتماعية موضع التقدير والتبجيل ولكن على أن يكون التقدير والتبجيل وسيلة لإبعاد هذه القيم عن حياتنا العملية ، ولحجزها عن أن تتسلل بالتأثير الى أمتدتنا ونفوسنا .
تقدرها ونجلها طالما هي حبيسة عن السعى الى التأثير على حياتنا فإذا تحركت الى ذلك حركة ما تحول التقدير كله الى حرب وصمد وإمرأض ! ..

شهر رمضان .. وأيام العيد .. وموسم الحج .. المساجد وعمراتها .. القرآن وخديته .. كل ذلك يلبس اليوم لباسا ظاهره التقدير والتبجيل ، وباطنه الحرب والتضليل ! ..

ولسنا نعنى بذلك التهوين من أمر من يخدم شيئا من هذه القيم على وجهها الصحيح ، وان لم يتمكن من إعطائها كامل حقها ، فهو مثاب ومشكور إن شاء الله ، ولكننا نعنى بما نقول التحذير ممن يتجمل بالاسلام في التحلى بشيء من شعائره ، ضمن حدود الحلية التي وصفناها ، ثم يتبرا من تطبيق هذه الشعائر مبادئ واحكامها ضمن الحدود التي أمر الله بها .



للفكتور محمد سلام مذكور

عماد التشريع الإسلامى وغيره من الشرائع السماوية السابقة عليه التوجيه الى الخير بالنصح والارشاد واستصلاح العباد ، ولا يختلف الشأن فى ذلك بين أن يكون التوجيه إلزاما وتكليفا أو ندبا أو مجرد إرشاد . غاية ما فى الموضوع أن الإلزام بالشئ يكون على قدر ما فيه من مصلحة راجحة يترتب على تركها ناسد يوقع فى عنت أو مضارة . فإذا ما ورد تحذير على لسان الشارع فإن ذلك من شأنه أن يكون فرعا على التوجيه الى الخير والدعوة اليه ، على أن نهى الشارع كثيرا ما جاء بصيغة الأمر التى تدل فى الأصل على مطلق الطلب . والأمر فى نصوص التشريع الإسلامى من صميم مباحث علم الأصول ، لأنه قسم من كل من الدليلين الرئيسيين (الكتاب والسنة) بل هو فى الحقيقة رأس مباحث علم الأصول ، لأنه هو الذى يعتمد عليه فى الانتفاع باستخراج الأحكام الشرعية التى هى عمدة دراسة الفقهاء ، والتى جعل علم الأصول أساسا

للسير في استخراجها على مقتضاها ، ومن الواضح أن الأحكام التكليفية الخمسة (الواجب والمندوب والحرام والمكروه والمباح) كلها تدور في الأعم الأغلب حول الأمر والنهي وصيغ كل منها ، لأن الأحكام التكليفية يعبر عنها بكل منها .

غير أن الأمر أكثر دورانا من النهي في نصوص التشريع الإسلامي لكثرة متعلقاته ، ولأن مسائل الإسلام وما بنى عليه من شأنها أن تستفاد بالأوامر لأنها مطلوبة على سبيل الجزم وتلك هي ما بينها رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله : « بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت » . ويضاهي إليها في بعض الروايات : الجهاد في سبيل الله .

على أن التعبير بقوله عليه السلام « بنى الإسلام على خمس » أمر بفعل هذه الأشياء إذ أن صيغة الأمر لا تقتصر على كلمة افعل ، بل تشمل كل ما يفيد الإنزام صراحة أو ضمنا (١) ، حتى نفس الأخبار التي يدل السياق فيها على طلب الفعل على سبيل الجزم مثل قوله تعالى : « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين .. » وقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل وقد سأله عن صل يدخله الجنة : « تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان .. » رواه الترمذي .

لهذا وغيره يقدم الأصوليون مباحث الأمر على مباحث النهي ، ثم يحيلون كثيرا من مباحث النهي عليه . يقول منلاخسرد في كتابه (المرقاة) : « إنهم يقدمون الأمر لأن المطلوب به أمر وجودي وبالنهي عديم والأدلة أشرف ، ولأنه أول مرتبة ظهرت لتعلم الكلام الأتلي إذ الموجودات كلها وجدت بخطأ كن فيكون ، هذا فضلا عن أنه بالأمر والنهي يتميز الأحكام ويتبين الحلال من الحرام » ونحن نضيف أن الحلال في الجملة يستفاد من صيغة الأمر ، والحلال أوسع دائرة من الحرام لشموله كل ما عدا الحرام فيدخل فيه المكروه والمباح فضلا عن المندوب والواجب ، كما أن النهي أحيانا كثيرة يرد بصيغة الأمر مثل ذروا واجتنبوا .. وغير ذلك .

ومما يجول بالخطر في هذا المقام ، أن أول تكليف ورد في شئون البشر ما قصه الله علينا في شأن الإنسان الأول منذ خلقه الله فامر الملائكة بالسجود له ثم امر آدم أن يسكن هو وزوجه الجنة وأن يأكلا منها رغدا مع استثناء ما علم الله فيه مضره بهما في صورة نهى وتحذير إذ يقول سبحانه : « وإذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ، وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين » .

فأنت ترى أن كل توجيه في هذا النظم الكريم ورد بصيغة الأمر فيما عدا قربان الشجرة الذي هو في الحقيقة استثناء من المأمور به المصرح بتعاطيه ولكنه ورد في صيغة النهى لفتا للذهن إلى خطورته وإشفاقا عليهما من التورط في حماته . فلما أزلهما الشيطان عنها أمرهما أن يهبطا منها . مما يؤيد أن التعليم والتوجيه شأنه أن يكون بصيغة الأمر .

وانظر إلى دعوى كل نبي إلى قومه مما أجمله الله سبحانه في قوله : « ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطواغوت » فهذه الكلمة الجامعة تبين أن دعوة كل رسول تعتمد على عبادة الله باتباع أوامره

واجتناب الطافوت وقد صدر التوجيه الى ذلك بصيغة الامر لينبها الى مكانة
الأوامر في التشريع والتوجيهات .

مفهوم الأمر عند الأصوليين :

وقد حدد الغزالي الأمر بأنه : القبول المقتضى طاعة المأمور بفعل
المأمور به (٢) . وقال البلخي وأكثر المعتزلة : إن الأمر هو قول الغائل لمن دونه
افعل أو ما يقوم مقامه . وعرفه بعض أهل السنة بأنه طلب الفعل على وجه
يعد فاعله مطيعا . وقال الأمدى : إنه طلب الفعل على جهة الاستملاء (٣) .

وقد تعددت بمسالك الأصوليين في مفهوم الأمر واختلفت اتجاهاتهم اختلافا
واسعا . فبينما يذهب الغزالي والبيضاوي الى أن الأمر من قبيل الكلام سواء
أكان هو النفس أم اللفظي ولذا فيلها يأخذان في ماهية التعريف أنه القول . .
بينما الأمدى عرفه بشيء غير القول فجعله عبارة عن الطلب النفسي وتابعه
في ذلك ابن الحاجب ، وقد عرضنا كل اتجاهات الأصوليين وما دار حولها من
مناقشات في كتابنا . . الأمر في نصوص التشريع الإسلامي ودلالته على
الأحكام (٤) .

وانتهينا الى أن الذي ينبغي التعويل عليه في معنى الأمر ومفهومه هو
الأمر بمعنى الصيغ والعبارات الذي يعرف بأنه اللفظ الذي يدل على طلب
الفعل . فهذا هو الذي يدور البحث في الواقع حول مدلوله من اقتضائه
الوجوب أو عدم اقتضائه ذلك ، ومن اقتضائه الفورية في الاستجابة الى
أداء المطلوب ، ومن إبراء الذمة والخروج من العهدة بفعل المأمور به مرة واحدة .
أم لا بد فيه من التكرار وغير ذلك من البحوث المتعلقة بالأمر ودلالته على
الأحكام الشرعية . على أن الأصوليين أنفسهم تنتهي بهم بحوثهم ومناقشتاتهم الى
أن الأوامر الشرعية التي يحكم عليها من حيث استفادة الأحكام هي الأمر بمعنى
الألفاظ والصيغ (٥) .

الصيغ المستعملة في الأمر :

المراد بصيغ الأمر الألفاظ التي تستعمل في لغة العرب ويستفاد منها
مفهوم الأمر ، وبالأستفراء يبين لنا أن الألفاظ التي تستعمل لإفادة الأمر لا تخرج
عن خمسة أشياء هي :

١ - صيغة افعل : أي كل لفظ يشتق على غرار افعل للدلالة على طلب
الحدث الذي تشتق منه الصيغة مثل أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، ومثل استقم
كما أمرت . ومثل أتم الصلاة .

٢ - المضارع المقترن باللام : مثل قوله تعالى : « لينفق ذو سعة من
سعته » فإن مدلوله طلب الاتفانق وكذلك قوله تعالى : « وليخش الذين لو
تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا »
فإن مدلولها طلب الخشية من الله وطلب تقواه وطلب القول السديد النافع .
وكذلك قوله : « فلينظر الإنسان مم خلق . . » فإن مدلوله طلب النظر والتدبر .

٣ - اسم فعل الأمر : وهو كما يقول النحويون ما ناب عن الفعل ودل عليه ومن أمثلته قول الله تعالى : « عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا أهديتكم » وقول الرسول عليه السلام فيها رواه أحمد والنسائي : « عليك السمع والطاعة في معركك ويسرك ومنشطك ومكرهك » وبأ رواه أحمد والنسائي من قول النبي صلى الله عليه وسلم : « عليك بالصوم فإنه لا عدل له » ، وقوله عليه الصلاة والسلام فيها رواه البخاري « مه عليكم بما تطيقون فوالله لا يمل الله حتى تملوا » .

٤ - المصدر الدال على الطلب : المصدر هو ما يدل على الحدث دون الزمان . ويقول النحويون : إن المصدر قد يقوم مقام فعله فيمتنع ذكر الفعل معه (٦) . ومن ذلك قول الله سبحانه : « مضرب الرقاب » يقول الألوس : إن ضرب منصوب على المصدر لفعل محذوف والأصل اضربوا الرقاب ضربا محذوف الفعل وقدم المصدر وأنيب منابه مضافا إلى المفعول (٧) .

٥ - الخبر المستعمل في معنى الأمر (الجملة الخبرية) : وما جاء من ذلك في أساليب الكتاب والسنة قول الله سبحانه : « والوالدات يرضعن أولادهن . . » فانها جملة خبرية في صورتها ومعناها الأصلية . ولكنها مستعملة في أمر الوالدات بارتضاع أولادهن . يقول القرطبي : يرضعن . خبر معناه الأمر على الوجوب لبعض الوالدات وعلى جهة الندب لبعضهن (٨) . ومن هذا القبيل قوله سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . يغفر لكم ذنوبكم » فقله : تؤمنون . وتجاهدون خبران بمعنى الأمر فهما بمعنى آمنوا وجاهدوا ولا معنى لبقاء الخبر على حقيقته في هذا المقام . لأن الخبر ما يحتمل الصدق والكذب وهذا لا يتحقق في لفظي تؤمنون وتجاهدون في الآية فيتمين أن يكون كل منهما مستعملا في الأمر على سبيل المجاز كما يشعر به قوله : « هل أدلكم على تجارة تنجيكم » .

ويقول علماء البلاغة : إن الخبر إذا استعمل بمعنى الأمر في هذه الجزئيات كان أكد من أن يستعمل فعل الأمر نفسه فيها . وقال صدر الشريعة عبيد الله بن مسعود : إن إخبار الشارع أكد من الانشاء في مثل هذا لأنه أدل على الوجود (٩) .

ما تدل عليه صيغة الأمر :

يسلك الأصوليون في بيان ما تدل عليه صيغة الأمر مسالك متقاربة في الجملة ، ولا يكاد يختلف بعضهم عن بعض إلا بزيادة أو نقص ، أو إشارة إلى تدخل بعض المعاني وبعض . وقد اختلفت مناهجهم في عرضها وعدّها وإننا نستخلص لك من مجموع ما قالوه أن صيغة الأمر قد تدل على الوجوب كقوله تعالى « أقم الصلاة » وعلى الندب كقوله تعالى « فكتابوهم إن علمتم فيهم خيرا » وعلى الإرشاد كقوله تعالى « واستشهدوا شهيدين من رجالكم » وعلى الإباحة كقوله تعالى « كلوا من طيبات ما رزقناكم » وعلى التاديب كقوله صلى الله عليه وسلم لابن عباس « كل مما يليك » وعلى الامتنان كقوله تعالى « كلوا مما رزقكم الله » وعلى الإكرام كقوله تعالى « ادخلوها بسلام آمنين » وعلى التهديد كقوله

تعالى « اعملوا ما شئتم » وعلى التفسير كقوله تعالى « كونوا قردة خاسئين » وعلى الإهانة كقوله تعالى « ذق إنك أنت العزيز الكريم » وعلى التسوية كقوله تعالى « فاصبروا أو لا تصبروا » وعلى الإنذار كقوله تعالى « كلوا وتمتعوا » وعلى الدعاء كقول القائل : اللهم اغفر لي ، وعلى كمال القدرة كقوله تعالى « كن ميكون » ، يقول الغزالي : إن بعض هذه الأشياء كالمداخل (١) ، هذا وقد ذكر بعض الأصوليين وجوها أخرى على ما بيناه في كتابنا الأمر في نصوص التشريع الإسلامي ودلالته على الأحكام (١١) .

وهذا الموضوع كما هو ظاهر من مباحث اللغة لا الأصول ، وإن أكثر الأصوليين لم يتعرض له إلا على سبيل الاستطراد أثناء بحثهم فيما تفيد صيغة الأمر على سبيل الحقيقة . وإن كان من الأصوليين كالغزالي والآمدی والبيضاوي من أفرد لها بحثا مستقلا ، والواقع أن البحث في معاني صيغ الأمر التي تستعمل فيها بعيد كل البعد عن بحث الأصوليين ، وهو بحث لغوي صرف يرجع إلى تنوع الأسلوب العربي واتساع دائرة المجاز فيه .

ما تفيد صيغة الأمر على سبيل الحقيقة :

الأمر إذا حفت به القرائن التي تعين دلالة فإن الحكم الذي يدل عليه هو ما تعينه القرينة . علما بأن المعنى الحقيقي على مقتضى قواعد اللغة لا يحتاج إلى قرينة معينة للمراد . فمن قال : إن صيغة الأمر حقيقة في الوجوب أو الندب أو الإباحة التي يقتصر اختلاف الأصوليين عليها ، إذ يتفقون على أن دلالة صيغ الأمر على المعاني الأخرى عن طريق المجاز — لا يرى أن دلالة الأمر على شيء من ذلك تحتاج إلى قرينة ، وإنما يحتاج إلى القرينة لصره من المعنى الحقيقي الذي وضع له إذا أريد منه معنى آخر — غير أن بعض الأصوليين يرى أن صيغة الأمر مشتركة بين عدة معان ، ومنهم من يرى التوقف . بهؤلاء لا بد عندهم من القرينة لفهم المعنى المراد .

هذا وينبغي التنبيه إلى أن وجود القرينة مع بعض الصيغ مما يختلف فيه وجهات النظر من ناحية وجود القرينة وعدمها فقد يدل الأمر على الندب عند القائلين بأنه حقيقة في الوجوب لوجود قرينة ، بينما يرى القائلون بأنه حقيقة في الندب أن دلالة على ذلك بأصل الوضع لا بالقرينة ، ومن ذلك اختلافهم في مفاد الأمر بالمكاتبه في قوله تعالى « مكاتبهم إن علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذي آتاكم » . والأمر بالانكاح في قوله تعالى : « واتكحوا الأبايى منكم » . على ما بيناه في موضعه (١٢) .

أما إذا انعدمت القرائن . فإن حقيقة ما تفيد صيغة الأمر موضع خلاف واسع بين الأصوليين ، ويترتب على ذلك اختلاف أوسع بينهم في مناهجهم الاجتهادية واستنباطهم الأحكام الفروع الفقهية .

١ — فالجمهور على أن صيغ الأمر تدل في الحقيقة على الوجوب ، واختلفوا فيما بينهم هل دلالتها على الوجوب بالوضع أم بالشرع أم بالعقل واستدلوا على أنها للوجوب بجملة أدلة نستخلص من جملة الآتي :

١ () قوله تعالى لا إله إلا الله : « ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك » إذ أن هذا الاستفهام في حقيقته توبيخ وذم وغير الواجب لا ذم عليه ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم لأبي سعيد الخدري وقد دعاه وهو يصلي فلم يجب : « ما منعك أن

تجيب وقد سمعت قول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم » فهو استنهام توبيخى دل على أن الأمر يفيد الوجوب .

ب) تارك الأمر مخالف وقد توعد الله مخالف أمره بالعذاب « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم » .

ج) وصف القرآن تارك الأمر بأنه عاص ومن ذلك قول موسى لأخيه هارون فيما يحكيه القرآن : « أفعمصيت أمرى » وكل عاص آثم ، يقول الله « ومن يعصر الله ورسوله فإِنَّ له نار جهنم .. » فتشارك الأمر معذب ولا معنى للوجوب إلا هذا .

د) ومما يقوله البزدوى لاثبات أن الأمر يدل على الوجوب في أصل الوضع قوله : إن الأمر موضوع للطلب وإذا ثبت هذا كان الكمال أصلا فيه . فثبت أعلاه وهو الوجوب .

٢ - وقال غاية المعتزلة ، وهو الصحيح عند الشافعية ووجه عند المالكية وقول أكثر الحنابلة وقول جمهور المحدثين إن صيغ الأمر تدل على الندب حقيقة في أصل الوضع واستدلوا بقول الرسول عليه السلام « إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم .. » فقد رد النبي الأمر إلى المشيئة وذلك ينافي الوجوب ، وكذلك فإن المندوب ما لمعه خير من تركه فهو داخل في الواجب من حيث الطلب فوجب جعل الطلب حقيقة فيه لكونه المتيقن . ودعوى غير ذلك تحتاج إلى قرينة .

٣ - ويرى بعض المالكية أن صيغة الأمر حقيقة في الإباحة . لأن الصيغة لطلب الفعل وأدنى درجات الطلب الإباحة . وهو رأى غريب لم يتجه إليه أحد .

٤ - وهناك من يرى أن صيغة الأمر مشترك لفظي .. وهؤلاء ثلاث مجوعات : فمنهم من يرى أنها مشترك بين إمادة الوجوب وإمادة الندب والقرينة هي التي تميز أيهما المراد . ومنهم من يرى الاشتراك بين الوجوب والندب والإباحة ، ومنهم من قال إنها مشترك بين هذه الثلاثة والتهديد أيضا ومن هؤلاء الشيعة .

٥ - وهناك من يرى أن صيغة الأمر مشترك معنوي . أي القدر المشترك الذي هو الطلب الشامل للوجوب والندب . وهذا الرأي منسوب للماتريدي ومشايع سمرقند .

٦ - وهناك من قال بالتوقف وهو المنسوب إلى الاسفرايينى والقاضى عبد الجبار فقد توقفا عن ما هو موضوع من الوجوب أو الندب وقيل إنها توقفا عن ما هو موضوع له على سبيل الحقيقة أصلا من الوجوب أو الندب أو غيرهما .

وقد بينا هذه الآراء بأدلتها ، ومسالك الأصوليين في عرضها في كتابنا الأمر في نصوص التشريع الإسلامى (١٣) . وانتبهنا إلى أن حقيقة الأمر بأصل وضع اللفظة لا تنيد إلا مجرد الطلب . فإنها أكثر ما تستعمل في الطلب الدائر بين الوجوب والندب ولا يعيننا أن يكون ذلك الاستعمال على سبيل الاشتراك اللفظي الذي يقتضى أن تكون موضوعة لكل واحد منهما بوضع خاص . أو الاشتراك المعنوي الذي يقتضى أن تكون موضوعة للقدر المشترك ، فالقدر الذي نستطيع أن نطمين إليه أن هذه الصيغة تارة تكون في الوجوب وتارة تكون في الندب وقد يكون استعمالها في كل منهما على سبيل الحقيقة التي تقتضى في المشترك اللفظي وجود القرينة ولتقتضى في المشترك المعنوي تباعد المعنى عنه وورود اللفظية . .

ثم تنتهي من هذا كله الى انها تدور بين هذين المعنيين : الوجوب والندب ولا تجزم بالدلالة على احدهما إلا اذا ايده دليل آخر من أدلة الشريعة .

ما يدل عليه الأمر بعد الحظر :

يرد أحيانا الأمر في نصوص التشريع الإسلامي بعد حظر سابق وذلك مثل قوله تعالى : « وإذا حللتم فاصطادوا » بعد قوله « غير محلى الصيد وأنتم حرم » ومثل قوله : « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض » بعد قوله « إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع » ومثل قوله تعالى في شأن النساء : « فإذا تطهرن فاتوهن من حيث أمركم الله » وذلك بعد قوله : « فاعتزلوا النساء في المحيض » ومثل ما روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم انه قال : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور الا فزوروها .. » .

وقد اختلفت مناهج المجتهدين من الأصوليين في مفاد الأمر بعد الحظر ، واتجهوا اتجاهات متباينة على ما بيناه تفصيلا في موضعه (١٤) ، وإنما نعرض هنا خلاصة ما اخفاه من مسالك الأصوليين واتجاهاتهم فنقول : إن منهم من قال : ان وقوع الأمر بعد الحظر لا اثر له ويبقى على ما كان قبل الحظر . ومن هؤلاء صدر الشريعة الحنفى وبه قال ابن تيمية إن كان الأمر من نفس الحاضر . ومنهم من قال إنه يفيد الوجوب وبه قال المعتزلة والرازي والبيضاوى من الشافعية وقالوا : إن سبق الأمر بالحظر لا يغير من دلالته ولا تعتبر قرينة صارفة . وبهذا يقول ابن حزم إذا كان المطلب بلفظ الأمر خاصة ، ومنهم من قال : إنه يفيد الإباحة وهم أكثر الفقهاء والمتكلمين وابن السبكي الشافعى وهو اختيار الكمال بن الهمام الحنفى ، ومنهم من قال إنه يفيد الندب وقد نقل هذا صدر الشريعة ، ومنهم من توقف كالغزالى والآبى وإمام الحرمين .

وقد مررنا في كتابنا الأمر عدة نصوص من القرآن والسنة (١٥) وبيننا اثر الاختلاف في دلالة الأمر فيها على الأحكام الفقهية ، ومن ذلك ما فهموه من قوله تعالى : « يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن فليدعيا وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم » الى قوله سبحانه : « وأشهدوا ذوى عدل منكم » .

لقد اختلف كل من المفسرين والفقهاء في مقتضى الصيغة وفي متعلق الاشهاد فقال الإمام الرازى الشافعى : أمروا أن يشهدوا عند الطلاق وعند الرجعة . وهذا الاشهاد مندوب اليه عند أبى حنيفة ، أما عند الشافعى فواجب في الرجعة مندوب اليه في الطلاق (١٦) . ونقل القرطبى المالكى مثل ذلك وزاد عليه أن أحمد بن حنبل أوجب الاشهاد في الرجعة في أحد قوله (١٧) ، وجاء في تفسير المحيط لأبى حيان أن ظاهر قوله (وأشهدوا) وجوب الاشهاد في كل من الرجعة والطلاق (١٨) . وتنص كتب الحنفية على أنه يستحب الاشهاد على الرجعة وزيادة الاحتياط (١٩) . بينما يقول ابن رشد المالكى : تشبيه هذا الحق بمسائل الحقوق يقتضى أن لا يجب الاشهاد . فكان الجمع بين القياس والآية يقتضى جعل الآية على الندب وهو مذهب مالك (٢٠) . ويقول الرملى الشافعى : المذهب الجديد للشافعى أن لا يشترط الاشهاد على الرجعة بناء على الأصح من أنها في حكم التمسك باللفظ ، وحرف الأمر عن الوجوب إجماعهم على عدمه في الطلاق هكذا . كذلك . روى الحسن بن أحمد الترمذى (٢١) . ويقتل ابن حزم أمة الحنفى ورافعين في المسئلة في المسئلة على الرجعة ، وعندها يجب لأن

ظاهر الأمر الوجوب ، والثانية لا تجب مع حمل الأمر على الاستحباب (٢٢) . ويشترط ابن حزم الظاهري لصحة الرجعة الاشهاد وإعلام المطلقة (٢٣) . بينها يرى الجعفرية أن الأمر يفيد الوجوب ، وأنه متملق بالطلاق لأنه المقصود الأصلي في النص (٢٤) . ويرى الزيدية أنه لا يجب الاشهاد في الرجعة ، والأمر وإن كان للوجوب فإنه عائد الى التيسير مخافة الإنكار لكنه في الرجعة مستحب (٢٥) . وقد اتجهنا الى إعادة الأمر للندب فيها ، وهذا لا يمنع إلزام ولي الأمر بالاشهاد على الطلاق والرجعة مسيطرة لمصالح الناس ، ومع هذا فإن هناك قرائن ترجح إعادة الوجوب ليهما (٢٦) .

وبالنسبة للأمر بعد الحظر فإننا نستطيع أن نقول : إنه يعود الى ما كان يقتضيه الأمر قبل الحظر من وجوب أو ندب وإن كان يكثر في إعادة الإباحة لكن بمعونة القرائن أيضا مما دفع الأكثرين الى القول بأنه يفيد الإباحة . وإننا نختم الموضوع في مقال آخر نتكلم فيه عن الأمر في نصوص التشريع الاسلامي من ناحية إعادته طلب الفعل مرة تبرا بها الذمة أم لا بد من التكرار ، وهل يقتضى الأمر الاستجابة على الفور أم لا يقتضى ذلك ؟

(١) راجع لنا في تفصيل ذلك كتاب « الأمر في نصوص التشريع الاسلامي ودلائله على الأحكام » مطبوع سنة ١٩٦٧ . دار النهضة العربية بالقاهرة .

- (٢) المستصلى ١ ص ٤١١ .
- (٣) الأحكام للقي ٢ ص ١٨٨ .
- (٤) من صفحة ٢٩ - ٩٦ .
- (٥) المرجع السابق من ٩٦ - ١٠٤ .
- (٦) انظر التوضيح والتشريع ١ ص ٢٢٠ .
- (٧) روح المعاني ١٦ ص ٣٩ .
- (٨) الجامع لأحكام القرآن ٣ ص ١٦١ .
- (٩) التوضيح ٢ ص ٤٤ .
- (١٠) المستصلى ١ ص ٤١٩ .
- (١١) من صفحة ١٢١ - ١٢٢ .
- (١٢) الأمر في نصوص التشريع الاسلامي ص ١٧٦ - ١٨٢ .
- (١٣) من صفحة ١٢٧ - ١٧٦ .
- (١٤) الأمر في نصوص التشريع الاسلامي من صفحة ١٨٢ - ١٩٦ .
- (١٥) من صفحة ١٩٧ - ٢٣٦ .
- (١٦) التفسير الكبير ٢ ص ٢٤ .
- (١٧) الجامع لأحكام القرآن ١٨ ص ١٥٧ .
- (١٨) ٨ ص ٢٨٢ .
- (١٩) البداية والنهاية ٣ ص ١٦٢ .
- (٢٠) بداية المجتهد ٢ ص ٧٠ .
- (٢١) التمهيد وشرحه ٧ ص ٥٤ .
- (٢٢) المعنى ٧ ص ٢٨٢ .
- (٢٣) المعنى ١٠ ص ٢٠٥ .
- (٢٤) قللاذ القدر في بيان أليات الأحكام ٢ ص ٢٢٨ .
- (٢٥) البهر الزخار ٣ ص ١٠٧ .
- (٢٦) انظر ما نقلناه في صفحة ٢٠٤ .



للإستاذ أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري

تطبيق العقوبة الشرعية من لوازم الإيمان

المؤمنون بوجود الله لا بد أن يؤمنوا بصدقته ، وبمعنوية شرعه : لأن من لوازم الإيمان بالله : اليقين التام بأن هذا الوجود (بما فيه) خلق الله .. وخالق الخلق أولى بتنظيم حياتهم ، لأنه أعلم بما يصلحهم (يحكم أنه خالقهم) .. ويحكم أنه يوجد الحقيقة ، وأن الخلق يكتشفونها .. وموجد الحقيقة أولى بالاتباع ممن يحاول اكتشافها .. وهو أحق — يحكم أن الكون ملك الله ، فكان أحق بتدبيره .. أما من يؤمن بالله ولا يطبق شرعه فإيمانه مزيف ، لأن عدم التطبيق عصيان ، وجدد الحق في التدبير ، وشك في صحة ومعنوية شرعه ، وكل هذه مخرجة من الملة ..

وطريقنا إلى شرع الله نصوص من الكتاب والسنة ، وهذه النصوص يدخلها النقد من ثلاثة وجوه لا رابع لها (يحكم القسمة العقلية) .

الوجه الأول : نقد النص من ناحية ثبوته عن الشارع .

والوجه الثاني : نقد النص من ناحية صحة دلالاته ..

والوجه الثالث : نقد مقتضى النص الذي صح ثبوته ومحت دلالته .

والوجهان الأولان واجبان على المجتهد لا يعذر بعدم تحصيلهما مع قدرته .. والوجه الثالث : كثر سلكه ، لأن النص إذا صح ثبوته ودلالة فلا يسمع المسلم إلا تطبيقه .. فإن توقف فلا يخلو من أن يكون معاندا أو شككا في صدق ربه ، أو متبها دينه بالسهو والنقص ، مجهلا

له ، وكل واحد من هذه الأمور مبيع للدم ، مخرج من الملة .

والعقوبة الشرعية من المسائل التي جاءت بنصوص صحيحة الثبوت والدلالة . إذا توقف فيها مؤمن بالله لم نزد على مجادلته بقولنا : قال الله ، وقال رسوله ، بالنص الصحيح الدلالة والثبوت . . فان كان مؤمنا حقا انصاع وانتاد لأمر ربه ، وقلبه واجف .

أما اللحدون فلا ينتادون لشرع الله ، لأنهم لا يؤمنون بالله ، والايان بشرمه نزع عن الايمان به .

وهؤلاء يغالطون المؤمنين بحجج العقول في تبرير(١) . . والغشاء العقوبة . . ولايماني بأن شرع الله شرع من خلق الحقيقة دلفت الى هذا النقاش العقلي لكل من ينكر العقوبة الشرعية . . وانا على يقين بأن للمسلم من وضوح الحجة ما يخال به على كل الإنكار المتعمدة وان ارتادت الجامعات الأجنبية وتباهت بالمؤهلات العالية . . !

والسرمي ذلك : أن المسلم ينصر حقا ، والحق ملاقى في كل مطرح . ولتحرير موضوع البحث أحب لفت الانتباه الى أن العقوبة الشرعية مقنوعة من حيثيات كثيرة . . وهذا المقال لا يتسع لنقاش لاهت مع كل عيشة ، فاثرت أن أذكر المنهج العقلي العام في الشريعة لحماية المجتمع من الجريمة . . ثم أطيل النفس مع نوع واحد هو موضوع القصص في النفس وليللاحظ أن منهج من سبيحت بحقوقية العقوبة الشرعية عليه أن يلاحظ : الفارقة بين أمرين :

أحدهما : نوعية العقوبة (في كميته وكيفيتها) .

وثانيهما : العقوبة في ذاتها .

فأما نوع العقوبة — كمية وكيفية — فلا نبحت معقوليته بالحكمة المنبثقة ، وانا نثبتها بإيراد البراهين الدالة على وجود الله وكماله ووحدانيته . . فإذا تقررت حقيقة الايمان ، فليقل المؤمن : ان الحق الواحد الكامل أمرني بأن أجلد الزاني غير المحصن مائة جلدة . . أما كونه لم يأمرني بتسعين أو بمائة وعشر فذلك محض أراد الله وتعبد هذه آياتنا ، لا يحق لنا أن نقدم بين يديه . . والقاعدة أن ما لا تظهر حكمته محمول على التعبد المحض . . ويرهان التعبد هو برهان العقيدة ، فإذا ظهرت الحكمة فلا بأس من الاستئناس بها ، فربما قال المجادل : لم جعل ربنا عقوبة المحصن الرجم ولم يجعلها ضربة بالسيف . . ؟ هنا قد تلوح الحكمة فيقول المسلم : لفرض تعميم العذاب على الجسم الذي تبذرت فيه شهوة الجماع الحرام . . وربما قال المجادل : لم كان هذا التمييز بالرجم ولم يكن بالوخز بالأبر . . ؟

وربما قال المؤمن : ان الوخز بالأبر ميتة بطيئة ، والعذاب فيها أشد فمناى مقصد الشارع . وسواء أحصلت القناعة وانقطع النزاع أم لم تحصل ولم ينقطع فلا يجوز للمؤمن أن يركن الى الحكمة المظنونة في تحديد الكمية والكيفية وانا يمتثل باطلاق . . وليصر في المجادلة على جانب التعبد وبرهانه الذي هو برهان العقيدة .

أما العقوبة من حيث أنها عقوبة فنثبت بالنقاش العقلي المجرد ، فإذا ثبتت في ذاتها فلن يتم تنفيذها حتى

١ (١) انظر : هفتي تسويج وقد اشرها بعض العلماء من علماء اللغة ، ونحن نستعملها .

قال تعالى : « وما كان المؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ » .

وقال : « ومن يقتل مؤمنا متعمدا جزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما » .
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (كما فى صحيح البخارى) : « لا يزال المؤمن فى فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما » .

وقال صلى الله عليه وسلم (كما فى صحيح البخارى أيضا) : « ان من ورطات الأمور التى لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله » .

وخذ مثلا آخر لذلك المنهج العقلى العام من جريمة الزنى فانها تنجم عن شهوة بهيمية فى الجبلية البشرية ، وقد هذبت النصوص هذه الشهوة بالامر بغض البصر والسو بالفرصة والتاكيد على من يجد الطول بأن يتزوج والعزم على المؤمنات بأن يستترن زينتهن وبالنهى عن دخول البيوت بغير إذن وبالأمر بخفض الصوت .. ولم يوجب الحد الا بشروط لا تتوفر الا اذا كان السفاح علنا ، وجاء الحد حكما عازيا جازما بعد تخطى كل هذه الحجز .

فالجد فى نوافل هذا الدين ترويض على عزائمه .

فصح أن العقوبة الشرعية جاءت بعد تخطى عدد من الحدود والتعليقات الشرعية ، وصح أنه لولا ذلك التخطى المتتابع لما كانت هذه الجريمة .

ومن المستطاع أن المصداق يحرم بتدريجها بعضا ، وأن الأهل على

يعرف تقديرها كمية وكيفية .. ومن هنا يلتفت المسلم مرة ثانية الى مسألة العقيدة يثقل على كمال الله والوهيته ليصل الى نتيجة : أن اختيار خالق الخلق أولى لنا من اختيارنا ، لأن شرع الله مبرا من السهو والجهل والنقص .
أما البشر فهم الساهون اللاهون مهما بلغ علمهم ، فهم محكومون بزمانهم ومكانهم وشهواتهم .
وان لعقوبة الأعدام أحكاما مقهية كثيرة تتعلق بالقصد وعنده ، وبكيفية الاستيفاء ، وبين له حق الاستيفاء .. الى آخر تلك الأحكام فلن نمس منها الا جانب حتمية العقوبة ووجوب تطبيقها ..

المنهج العقلى العام فى الشريعة لحماية المجتمع من الجريمة :

يلاحظ أن العقوبة مرتبة على جريمة بعينها ، ولكن الفاحص يدرك أن الجريمة فوق مستوى العقوبة ، لأن الجريمة سلسلة مخالفات شرعية نجأت العقوبة حدا فاصلا .
خذ مثال ذلك : القتل ينجم عن شهوة غضبية فى الجبلية البشرية ، وقد هذبت النصوص هذه الشهوة الغضبية بالحث على الحلم ومكارم الاخلاق والمسامحة والرحمة وتجنب هوشة الاسواق والنهى عن الممازحة بالسلاح وتهديد القاتل بالخلود فى النار . والنهى عما يفقد الوعى من المخدرات ومن سسورة الغضب الطائشة ، والنهى عن مسببات النزاع كالقمار وبيع الغرر .. ثم جاءت القصاص فى القتل حدا فاصلا بعد تخطى كل هذه الحواجز .

وكل هذه الاجواء الشرعية يقتضيها العقل ولا يستحسن غيرها ، وخذ هذا الجسر من تلك الاجواء الشرعية ..

للمجنى عليه ، والرحمة ان تمسح
دمعة اولياته بتطبيق العقوبة على
الجاني .

والامة الصالحة هي التي لا يضيع
الحق بينها .. فصيح بهذين
الوجهين : ان رحمة يترتب عليها ظلم
المجتمع وظلم المجنى عليهم وتاييد
الظالم على ظلمه (بحجة الرحمة)
تعتبر نكسة فكرية .. واطلم الناس
من ظلم الناس للناس .. !

والرحمة رقة عاطفية فلا تمنع
المسلم من رحمة جان مسلم ينفذ فيه
حكم الاعدام فيستغفر له ويرجو الله
ان يجعل ذلك طهرة له ويشفق على
اخوانه المسلمين من تكرر هذا المنظر
.. ولكن لا يجوز ان تتمدى هذه
الرحمة الى تعطيل الحد ..

وهذا ما لفت اليه القرآن الكريم
في عقوبة الزنى في قوله تعالى :
« ولا تأخذكم بهما رأية في دين
الله » .

الثالث : ان رحمة الجاني رحمة
تحول دون ممانئته وضع للامور في
غير موضعها . لان رحمة الجاني ان
كانت غيرا يعارضها بمفسدة الاخلال
بالامن وبمفسدة تضيق الحق وبمفسدة
عصيان الشرع المؤيد بنظر العقل ..
ومن بدائه العقول : ان المصلحة
تعمل اذا عارضتها بمفسدة ارجح
منها .

وقلنا : قد لا تكون رحمة الجاني
خيرا لانه لا يوجد أي شيء يتحضر
للخير او الشر .

الرابع : انه لا يملك رحمة
الجاني - رحمة تحول دون اخذ
الحق منه - الا ان يملك الحق وهو
المجنى عليه او وليه .. ولهذا فالولي
بامور بالرحمة والصنفح ، فهذه
الرحمة ليست من حق القاتلون ،
ولا من حق السلطان ، ولا من حق
المجتمع .

الصغائر يجر الى الكبائر والذين
يتعاضدون بالعقوبة المادلة (لمرض
في قلوبهم) تصغر في اعينهم الجريمة
التي هي جريمة بنت جريمة ، وهذا
ما لاحظه رسول الله صلى الله عليه
وسلم في قوله : « لا يزنى الزاني
حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يسرق
المسارق حين يسرق وهو مؤمن ولا
يشرب الخمر حين يشربها وهو
مؤمن » .

شبه منكرى الإعدام :

تعلق نفاة المقاصة في النفس من
القانونيين بامور أهش من امواد
الخرع .. فقالوا : ان القتل قسوة
ووحشية .. وان امور الناس يجب
ان تقوم على الرحمة والمطف .
وقالوا : ان القتل مقاصة لا تردع
لانه يموت المجرم ولا تبوت
الجريمة ، ولان الاعدام لا يخيف من
لا يعرف انه سيقتل اذا قتل .
وقالوا : ان الاعدام يفقد المجتمع
نفسين .. !

وقالوا : ان المجرم غير مسئول
من اجرامه .. وانما تقع المسؤولية
على البيئة التي نشأ فيها من امور
وراثية وظروف حياتية .

وندمج هذه الفلسفة المريضة
ونشأتها من ثلاثة وعشرين وجها هي
كالتالي :

الأول : اننا لا نماري في وجوب
وشروعة الرحمة وانما يرحم الله من
عباده الرحماء ، ولكن الرحمة لا
تفسر بتعطيل العقوبة ، وانما تفسر
برحمة الجاهير والضعفاء والمساكين
والامنين المعصومة دماؤهم .. ناذا
لم نردع المجرمين بالعقوبة فاننا نجنى
على المجتمع في الاخلال بحماية امته
ونظامه .

الثاني : ان تعطيل العقوبة ظلم

والقاتل بغير حق يجب أن يستثنى المجتمع باستئصاله ، لأنه عضو غير صالح .

الحادي عشر : أن القاتل حرم غيره الحياة فيلحرم الحياة مثله ، فهذا حق لا تسقطه الرغبة في تكثير سواد المجتمع .. ولا مجال للمعارضة بين حق واجب وأمر مستحسن .

الثاني عشر : أن تعطيل العقوبة قائم على مثالية موهومة تستبشع منظر القتل .

ونحن نقول : أن سر العقوبة في بشاعة العقوبة .. ونقول (مرة أخرى) : أن الجريمة أبشع ، ولا بد للإنسانية من سيف يحميها . ولولا بشاعة العقوبة ما ارتدعت النفوس . ولم يامر الله بحفظ طائفة من المؤمنين إلا لأحياء الحدود وأعلنتها لترتدع النفوس التي تستبشع منظر السيف في خطباته .

الثالث عشر : أن الناس ليسوا في جبلتهم على مستوى المسئولية بحيث نتركهم لمثالية موهومة ، فقد اقتضت حكمة الله (كما هو معائن) أن في المجتمع نفوسا شريرة لا يردعها خوف من الله في يوم مؤجل ولأحياء من المجتمع ، فلا ترتدع إلا بعقوبة عاجلة منظورة .. وردعها بالقتل يعنى عصمة المجتمع من شرها .

الرابع عشر : أن الجريمة ظلم والعقوبة مجازاة وردع ومناصاة ، ولا يستحسن العقل غير هذا .

الخامس عشر : أن البدأ العادل والقانون الفكرى المصحح الذى تجمع عليه كل العقول السليمة : أن يكون المجرم مسئولاً عن أجهامه ،

السادس : أن رحمة الجاني — بتعطيل العقوبة — تأييد للجناية .. فاهدأر دم معصوم على يد سفاك آثم (بحكم القانون) اشتراك مباشر في الإثم : لأن من المشاركة التأييد .

السابع : أن تعطيل العقوبة الشرعية تشجيع للجريمة بطريق غير مباشر (من وجه آخر) لأن أولياء القتل لا يصبرون على مضض ، ولأنه السبيل أمام كل مجرم (ما دام أنه يضمن حياته) .

الرابع : أن تنفيذ العقوبة في الجاني جار على قاعدة منطقية تؤمن بها كل العقول ، وهى أن الجزء من جنس العمل فلا ظلم ولا تفریط في مقاسمة عادلة ومخاصة دقيقة .

الخامس : أن أصديق البراهين ما جرب .. والتجربة دلت على أن العقوبات ضرورية لحماية حفظ النفس .. ويزع الله بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .

ولم تقع الفوضى وتهذر الدماء وتتألب المصومين إلا في مجتمع انفصلت فيه سلطة القانون عن واقع المجتمع .

السادس : أنه من الأفضل ألا يخسر المجتمع أى نفس في غير جهاد مقدس ، ولهذا المبدأ حرص الإسلام على عصمة الدماء ولا ريب أن استحياء الجاني هلاك للنفوس كثيرة ، وهذه من بدائنه القرآن في نفسه : « ولكم في القصاص حياة » .

السابع : أن استحياء الجاني مبنى على الرغبة في تكثير سواد المجتمع بالأى يخسر نفسين ، ولكن الثابت مقسلاً أن المجتمع يخسر نفوساً كثيرة باستحياء الآثمين ..

هذا أصم وهذا أعرج وهذا أعمى
وهذا مجنونوا وهذا قوى البنية
مكتبل الخلقة جميل الطلعة مبسوط
الرزق مشروح الخاطر .

والحشاشي الذي يقتل محبائه
لأدنى مجادلة لا يفكر جريمته توتر
أعصابه لأمر واحد شاهدناه وعائناه
وهو أن هذا الصنف من الناس
كثيرون ، ولكنهم ضبطوا أعصابهم
على رغبتهم لأن العدالة لا ترحم
وسيف الله بصلته .. وما هذه
القوة من جنود وسيف وحشود
الا سلطان الولي الضعيف .. أولم
يقل سبحانه : « فقد جعلناه لولييه
سلطانا » .

ولهذا لو أخفنا بما يسبونه ورائه
وبيئة وسلطة وسوء تربية وحرمانا لما
وجد على ظهر هذه المعورة مجرم
مدان ، ولاصبح الجرمون جبيهم
بريئين .

السايع عشر : أن البائس يتعجل
بؤس غيره لينعم مكانه ، فالعدل أن
يعامل بنقيض قصده والعدل الا
نعالج ببؤس ببؤس ولا ريب أن
استقاط حكم الاعدام هنا تبرير للجريمة
.. وهذا التبرير يعني ذلك العلاج
المرفوض عقلا .

الثامن عشر : أن تعطيل حكم
الاعدام بالردع اقتصر على جزئية
من الملة ، فالتنا نقول : الاعدام
ضرورة للردع ، وعلى فرض أنه لا
يردع (وذلك باطل بيقين) فلا يسقط
حكمه ، لأنه حق طرف معين لا يسقط
الا برضاه .. فالحق حق واجب
لذاته لا لغيره .. ونقول : أن
الاعدام لا يقضى على الجريمة ، لئلا
آيسون من مجتمع مثالي ملائكي لا
يجرم ولا يخطيء ، ولكننا نؤمن بأن
المجرمين يقتلون لمنطاردهم .

ولا ريب أنه بقلة المجرمين تقل
الجريمة لبديهة أن لا جريمة بدون

وهذه المسؤولية تستوجب مقوبة
معينة الا أنها تسقط أو تنقص أو
تخف الأمر يتعلق بارتباط المجرم
بجريمته ، وذلك الرباط هو « قصد
الجريمة بغير حق » . ولسنا نطل
على هذا الرباط من زاوية الوراثة
والبيئة بأجمال ، بل نطل مع الزاوية
التي لها تأثير في القصد ، فالجنون
يحجز ولا يقتل ، لأنه غير قاصد ،
أو قل : لأن قصده غير معتبر ..
ومن أراد أن يرمى صيدا مباحا
فأصاب آدميا مصصوم الدم غير قاصد
قتله ، فلا يعدم ، لأنه غير متعمد
الجريمة .. ومن ضرب آخر بعضا
نمات لم يعدم ، لأن المصصا في
العادة والعرف لا تقتل .

والتعدي بالة لا تقتل غالبا دليل
قطعي على عدم قصد الجريمة الا أن
يوجد ما ينأى هذا القصد ، كان
يكرر ضربه وهو مريض ، أو يعيد
الضرب في مقتل .. الى آخر
ما هنالك من جزئيات وتحفظات
ومقارنات دقيقة تحفل بها كتب
الفروع ..

السادس عشر : أن الذين لديهم
أمر وراثية كتوتر الاعصاب أو
سوء التربية أو بؤس الحياة لا تختفر
جريمتهم ما دام أنهم يخطئون
للجريمة بتنظيم قاطع على ذكائهم
وتعمدهم ، وما داموا يعرفون أنهم
بالجريمة يحرمون أبا لهم حظه من
الحياة ويتركون أولاده للبؤس
والشقاء .. !

فنحن بين أمرين : هما القصد ،
والحافز على القصد .. فلا نقتل
الا القاصد ، ولا نفتقر من الحوافز
الا ما كان حقا .. فالبائس الذي
يقتل تاجرا ليأخذ ماله لا يبرر جريمته
أنه بائس في حياته ، لأن بؤسه ليس
حقا متعينا على التساجر .. وإنما
البؤس والبجحة قسمة من جعل

الا أن التجسرية أثبتت ارتداع الكثيرين .

وارتداع ولكن ليس بالجملة ..
لا ريب أن ارتداعا ليس بالجملة خير من عدم ارتداع بالجملة . والشاهد على هذا أن الجريمة في المملكة العربية السعودية عام ١٣٩١ هـ .. ليست كالجريمة في النصف الأول من القرن الرابع عشر للهجرة من ناحية كميته وكيفيتها .

فان قالوا : هذا عامل الحضارة قلنا : كذبتم وانكم لأن جريمة النصف الأول من القرن الرابع عشر في بلادنا هي الجريمة ذاتها (كما وكيفية) عام ١٣٩١ هـ في البلاد التي هي أكثر منا انسياقا للمدنية .

الحادي والعشرون : ان الاجرام

هو الاجرام ان لم ينتج عنه ارتداع سفاح آخر فان المجتمع على أقل تقدير تغادي شرا ، فتقليل السفاحين مصلحة مائلة ان تمسخر ارتداع كل السفاحين . وهذا غير أحد الوجوه السابقة لأن ذلك الوجه من تقليل المجرمين من ناحية القضاء عليهم فيستريح المجتمع من شرهم .

الثاني والعشرون : ان تول

الاسكندنافيين : عملية الاعدام لن تحقق العبرة ما دام الاعدام لن يخيف من لا يعرف أنه سيقتل ، فيه مخالطتان :

أولاهما : أن الجهل بالقانون لا يبرر تعطيله ، وليست معالجة الجهل بالقانون في تعطيله بل لا بد من أشاعته .. ولا ريب أن الانتصاف للدماء المرافة في كل جمعة على رؤوس الأشهاد سينبه كل من لا يعرف لأن يعرف ، وليس يخفى اليوم الا ما لا يكون .

مجرم ، ولبدية أن ما لا يدرك كله لا يترك كله ، ولبدية أننا نملك السبب ولا نملك ما يتسبب عنه ، الا أن هذا السبب ناجح في الغالب ، فلا يجوز لنا (عقلا) أن نترك ما نملكه لشيء لا نملكه كما لا يجوز أن نترك أمراً راجحاً لأن هناك احتمالاً مرجوحاً ، والا كانت نكسة فكرية .

الثاسع عشر : ان تولهم مطاردة

المجرم لا تقضى على كل جريمة منبثق من القول بعدم جدوى الاسباب ، وهذه نكسة كما قلت ..

ومن ناحية ثانية فذلك القول كلام مجمل لأن المجتمع الذي يسود فيه نظام الاعدام بحق يقضى قضاء مبرما على الاجرام الجماعي لأتفه الحوافز .. وقتلها وجد من يرتكب جريمة القتل ألا لحافز قوى جاء نتيجة لسوء تصرف المقتول .

فصح ببين أن مطاردة المجرم تقضى على شكل مروع من أشكال الجريمة .

الثلاثون : ان حصول الردع

بالمعقوبة أمر مجرب — كما بينته أننا — وإنما غلط الناقدون بظنهم أن الناس كلهم لا يرتدعون بالمعقوبة وغلط المثبتون بظنهم أن الناس كلهم يرتدعون بالمعقوبة .

ومذهبي : أنه يحصل ردع ، والمرتدعون هم الجمهور بيد أن من كتب الله عليهم الشقاء لا يعتبرون بمعقوبة غيرهم فيرتدعون .

فهذه ثلاثة أمور : ارتداع بالجملة وهذا لا يحصل ، ولو حصل لكان خيراً كثيراً . وعدم ارتداع بالجملة

اجتهاد القاضي وصلاح سيرته —
والا ننقص من الحد ، لان الله ارحم
منا ، ولا نزيد فيه ، لان الله احكم
الحاكمين .

ونطبقه على انفسنا فلا نحاسب
بحكم الله قريبا او عظيما .. نحذار
ان تدركنا خطية بنى اسرائيل ..
واقول هذا على مبدأ « يا ايها الذين
آمنوا آمنوا » .

وليس الحيف في تطبيق الحد
الشرعي باقل خطورة من تعطيله ،
فالمعطل والجائر كلاهما آثم ظالم ..
والعدالة قوام الملك .

وبعد فان واقفنا العربي بحاجة
الى شباب يؤمن بالله ويقول عقب كل
صلاة : اللهم ابرم لهذه الامة امر
رشد يعز فيه اهل طاعتك ، ويذل
فيه اهل معصيتك .. ويقول : اللهم
اصلح ولاة امورنا .

واخراهما : ان من لا يعرف انه
سيقتل اذا قتل يعرف وبيقين ان
القتل جريمة .. ويعرف بعقله (ان
لم يكن ذا دين) : ان الجزاء من
جنس العمل .

الثالث والعشرون : ان للاعدام
مبرراً غير مجرد تحقيق المعبرة ،
وغير مجرد تعيين الحق ، وهو
اشاعة العدل ، فلن تطبق العدالة
اھدار الدماء ، ولن تطبق العقول
الصحيحة جفنها على حياة سفاح تقوم
على اھدار دم معصوم .

وجوب العدالة في التطبيق :

وبعد نقض فلسفتهم الرعناء في
تعطيل العقوبة اود ملاحظة ان
العدالة في التشريع ذات شقين :
عدالة النص في حقيقة تشريعه ،
لانه من عند الله والله لا يقول الا
حقا ، ولا يشرع الا عدلا .
والعدالة في تطبيقه : بان يكون
الحكم مطابقا لواقع القضية — بحكم

وَقَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقتُلُونَكُمْ وَلَا تَقْتَدُوا
إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُتَسَدِّينَ ﴿١٩﴾ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْبَلُوهُمْ
وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ
الْقَتْلِ وَلَا تَقْتُلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقْتُلَكُمْ
فِيهِ فَإِنْ قَتَلُوكُمْ فَأَقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ
الْكَافِرِينَ ﴿٢٠﴾ فَإِنْ أَسْتَهْزَأَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢١﴾

الحمد لله

للواء الركن محمود شيت خطاب

— ١ —

طوّحت بي ظروفى الصّحية
القاسية ، بعيداً عن بلدى ، فقصدت
قرية من قرى بلد عربى شقيق ، طلباً
للاستشفاء والاستجمام .

وأجبرتني ظروفى العائلية الصعبة
على سكّنى فندق من فنادق تلك
القرية ، خلافاً لرغبتى التى لا تحب
سكّنى الفنادق ، وتؤثر عليها سكّنى
الدور .

ولعلّ مما شجعتنى على اللجوء
الى هذه القرية النائية ، والى هذا
الفندق القريب من تلك القرية ، هو
وجود مسجد فيها : أهلى فيه صلاة
الجمعة ، وأهلى فيه صلاة الجماعة
فى بعض الأوقات ، وأسمع صوت
المؤذن يدعو للصلاة فى الأوقات
الخمسة ، وحسبى أن أكون (جار
المسجد) . لتحلّ على بركاته ويمدنى
بالسكينة والاطمئنان .

ولكن هذا المسجد العابر بذكر
الله فى العام المنصرم ، أصبح هذا
العام مهجوراً .

كان فى العام المنصرم تقام فيه
الصلوات الخمس جماعة ، فأصبح
هذا العام لا تقام فيه الصلوات .
وكان فى العام المنصرم عامراً
بالمصلين ، فأصبح هذا العام مقفراً
من المصلين .

وكان صوت المؤذن يلعل كل يوم
خمس مرات ، فأصبح هذا العام لا
يسمع أبداً إلا فى موعد صلاة
الجمعة .

وكنت اظن أن المسجد بخير كما
كان فى العام المنصرم ، فوجدت
المسجد ليس بخير هذا العام .
وحين لجأت الى الفندق القريب من
القرية ، انتظرت أن أسمع صوت
المؤذن فى اليوم الأول الذى حللت
فى الفندق .

كان الظلام مخيها في شرفتي ،
وكان موعد صلاة الفجر قد حل ،
فأرھفت السمع لاقتنص صوت المؤذن
يدعو للصلاة ، فلم أسمع شيئا .
وتكرر ذلك في يوم أو يومين ،
دون جدوى !!

وتصددت المسجد لأرى أن بابہ
مقفل ، وكان ذلك في موعد صلاة
العصر .

وسألت أحد المارة : لماذا لا يفتح
المسجد ، وقد حان وقت صلاة
العصر ؟

وتنهذ صاحبي ثم قال : لا تقام فيه
الصلوات عدا صلاة الجمعة .

— ٢ —

وصليت الجمعة ثلاث مرات في
ثلاثة أسابيع : خطب في الجمعة
الأولى والثانية خطيب كهل ، وقد
كان المصلون قليلين ، ولكن صوته
الخطيب كان جهوريا يهدير وكأنه كان
يخطب في مئة ألف أو يزيدون .

وخطب في الجمعة الثالثة شاب ،
صوته أخفض من صوت سلفه ،
تحدثت الله على ذلك كثيرا .

وفي الجمعة الرابعة ، رأيت ما
حملني على كتابة هذا المقال .

كنت على باب المسجد قبل ساعة
وربع من موعد الصلاة ، فوجدت
بابه مقفلا ، وحول القفل سلاسل
من حديد .

وذهبت الى مكتب بريد القرية ،
فوجدت رسالتين إلى تنظيران من
أيام ، وقيل لي : إن موزع البريد قد
استقال .

فقلت لنفسي : لا بد أن يكون أهل
القرية يعلمون الغيب حتى يعرفوا أن
موزع البريد قد استقال ، وأن عليهم
أن يزوروا مكتب البريد كل يوم
لاستلام رسائلهم إن وجدت !!

وعدت الى المسجد قبل ساعة من
موعد الصلاة ، فوجدت بابہ لا يزال
مقفلا .

واستجندت بمن توسعت فيه الخير

من المارة ، لاستدعاء المسئول من
فتح الباب ، فلبى أحدهم رجائي ،
ولكنه جاء بعد ربع ساعة ليقول :
إن المسئول قد ذهب الى المستشفى
لزيارة أحد المرضى هناك .

وكنت قد أخرجت مندلي من
جيبی ، وفرشته على عتبة باب
المسجد ، وجلست عليه .

ومضى على نصف ساعة وأنا
جالس على عتبة المسجد ، حتى قدم
أحد المصلين ، وكان أول القادمين .
وقلت له : هل حال كئناثس القرية
كحال هذا المسجد ؟ هل تقفل هذه
الكئناثس وهي ثلاث في أيام الأحاد ؟
وسألني القادم الجديد : وأين
المسئول ؟

وقلت له : هو في المستشفى
زائرا ، ولا أدرى متى يحضر ، وربما
سيصل شيخ المسجد قريبا ، فلا بد
من فتح الباب .

واقترحت عليه أن ياتي بالطريقة
من نجار قريب ، ويكسر القفل ويفتح
الباب .

وفتحنا الباب بعد كسر القفل ،
ودخلنا المسجد دخول الفاتحين ،
ولكن أعصابي كانت متوترة جدا لما
على حال المسلمين .

وحضر شيخ المسجد قبل صلاة
الجمعة بعشر دقائق ، وهو يأتي كل
جمعة من بلد آخر ، فيلقى خطبة
الجمعة ، ثم ينصرف الى أهله ،
ويترك المسجد مهجورا .

— ٣ —

كنت أمني النفس في طريقي الى
المسجد ، بساعة اتفئها فيه قبل
الصلاة ، ففتش روح المسجد قبسا
من النور لاقتبس منها نورا ، وتسبيح
روح المسجد على روحى شيئا من
السكينة والاطمئنان .

وكنت أحب أن أذكر الله ، وبذكر
الله تطمئن القلوب — خاصة في
بيوت الله .

وكان معنى حديث رسول الله

صلى الله عليه وسلم يدور في خلدي وأنا في طريقى الى المسجد ، وهذا الحديث من فضل السابقين الى المساجد في يوم الجمعة وأجرهم عند الله .

ولكن المسجد المهجور ، ومعنى هذا الهجران ، وحال المسلمين الذي ادى اليه ، حرمنى من نور المسجد ، ومن روح المسجد ، ومن ذكر الله في المسجد .

وذكرت الذي عمر هذا المسجد ، واوقف عليه الأوقاف ، وترحمت عليه ، وتلت لنفسى : هل كان يعرف مصير مسجده الوحيد في القرية المهجور من المصلين ، وفي القرية هذه ثلاث كنائس عامرة بالمصلين ؟ وستقبلت من عيني دمعتان في المسجد المهجور ، وازداد الحزن الذي يجتاح قلبي حتى لم يبق فيه موضع لحزن جديد .

إن مساجد المسلمين كانت مثابات للعبادة ، ومحاكم للقضاء ، ومعاهد للعلم ، وأماكن لذكر الله ، وتكتات للجيش الإسلامية .

كانت لا تخلو من المصلين ومن الذاكرين لله والذاكرات . وكانت ملجأ للمظلوم يأخذ حقه من الظالم .

وكانت عاهرة بطاقات العلم ، يتدارسون فيها علوم القرآن والحديث والفقه والتاريخ واللغة والأدب . وكانت تنطلق منها جيوش المسلمين للفتح ، وتعود إليها بعد الفتح .

كيف أصبحت اليوم مهجورة ؟ وأسفاه على حال المسلمين اليوم ! إن الجواب هو ما نراه اليوم : مليونان ونصف المليون من يهود يفتلون مائة مليون عربي وسيمائة مليون مسلم ، ثم يرزح المستعبد الاتصى تحت ظل الاحتلال الاسرائيلي ثم يحرق دون أن يستشير ذلك غيره

المسلمين ! حين كانت المساجد عامرة ، انتصروا على أعدائنا ونحن يومئذ تليسل .
وحين أصبحت المساجد مهجورة ، غلبنا أعداؤنا القليلون ونحن يومئذ كثير .

- ٤ -

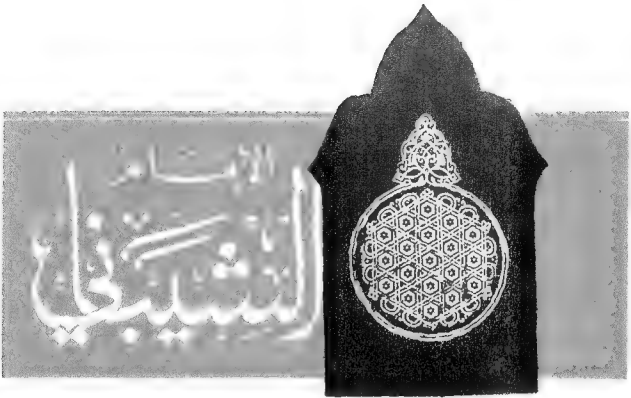
وبعد . اقرأ كل يوم في الصحف أخبار مواجهات المسئول عن المساجد في هذا البلد العربي للمسؤولين الكبار . وفي كل يوم أرى تصاوير المسئول عن المساجد مع المسؤولين الكبار في الصحف وفي الإذاعة المرئية ، وقد تهلل وجهه بشرا وفرحا ، وأرتمت على وجهه ابتسامة عريضة . ترى !

أيها أجدى على هذا المسئول عن المساجد ، إعمار مكاتب المسؤولين الكبار بالزيارات ، أم إعمار مساجد الله بالمصلين ؟

أيها أجدى عليه ، رضى المسؤولين الكبار ، أم رضى الله رب المسؤولين الكبار ؟

يتהל وجهه اليوم وترسم عليه الابتسامات ! ! وغدا ستسود وجوهه وتبيض وجوهه . وهو يظن أن اتصاله بالمسؤولين الكبار سيرفع ذكره ، وحسبه أن يقرأ اسمه في الصحف ويرى صورته من المجلات والصحف والإذاعة المرئية . ولكن هذا المسئول ، هو آخرى الناس بأن يعلم ، بأن الله وحده هو الذى يرفع ذكر من يشاء من عباده الصالحين .

وصدق الله العظيم : (ألم نشرح لك صدرك ، ووضعنا عنك وزرك ، الذى أنقض ظهرك ، ووضعنا لك ذكرك) .
والله أكبر ، والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين .



الدكتور محمد الدسوقي

١ - يعد الإمام محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني أول من دون الفقه الإسلامي على منهج علمي لم يسبق به ، كما يعد أول من كتب في العلاقات الدولية الإسلامية كتابة دقيقة مفصلة ، تشهد له بالمعتلية التشريعية الخصبة ، وتضمنه في مقدمة الرواد الذين كتبوا في القانون الدولي .
والإمام محمد إلى هذا فقيه مجتهد ، ومحدث حافظ لا يقل درجة عن أئمة الفقهاء وأعلام المحدثين في عصره ، وقد قام مع ذلك كله بدور فريد في تاريخ الفقه لم يقم به أحد سواه من المجتهدين ، ويتمثل هذا الدور في تقريبه بين المدارس الفقهية التي عرفها القرن الثاني ، فقد كان حلقة اتصال بينها ، فضائق بذلك دائرة الخلاف بين الفقهاء ، وأطلع كل فقيه على ما لدى غيره من الآثار والأراء .

٢ - وقد ولد الإمام محمد بن الحسن في مديفة واسط بالعراق في أواخر سنة ١٣١ هـ على الرأي الراجح ، ولكنه نشأ بالكوفة ، لأن أقابة والده بذلك المدينة لم تطل ، وكان قد انتقل إليها من أجل عمل تولاه بها ، فولد له محمد في أثناء قيامه بهذا العمل ، ثم لم يلبث أن عاد إلى الكوفة واستقر بها ، وشهدت هذه المدينة طفولة الإمام محمد وبقاعته وشبابه ، كما شهدت اختلافه إلى حلقات العلم والدرس تلميذا وأستاذا .

أول من دون الفقه الإسلامي وكثب في العلاقات الدولية

٣ - وكانت مدينة الكوفة إذ ذاك مهد العلوم العربية ودار الحديث والفقه منذ نزلها كبار الصحابة ، واتخذها على بن أبي طالب كرم الله وجهه عاصمة الخلافة ، لقد كانت تروج بالعلم والعلماء ، وكانت مساجدها تنفس بحلقات الفقه والحديث والنحو واللغة والأدب والأخبار ، وهي إلى هذا كانت ملتقى الثقافات الإسلامية والمادامّة العربية الأصيلة بالثقافات والحضارات الأجنبية المختلفة فكانت لهذا حقيقة بأن تكون كما سماها الإمام أبو حنيفة (مدينة العلم) .

٤ - في هذه البيئة العلمية الرفيعة تلقى محمد بعض دروس العربية والرواية بعد أن حفظ القرآن الكريم ، وحفظ ما تيسر له من الأحاديث النبوية الشريفة ثم اتجه إلى حلقة الإمام أبي حنيفة ، وكانت طريقة هذا الإمام في تعليم تلاميذه تقوم على منهج يربى ملكة البحث والتفكير والمساطرة ، فهو لا يلتزم آراءه القاء ولكن كان يثير المسائل ثم يشرك تلاميذه في تحصيلها ومناقشتها ، ولا يسمح بتدوينها إلا بعد الاتساق على رأي جماعى فيها . وفي هذا الجو العلمى المثير كانت مواهب محمد تتجلى كل يوم وكان أبو حنيفة يسر بتلميذه فيضاعف من الاهتمام به والحرص عليه ، لما كان يتوسمه فيه من الخير والفضل .

وكان محمد في حلقة شيخ فقهاء الكوفة في القرن الثانى لا يكتفى بالسماع والمشاركة في تحقيق المسائل ، فقد كان مع هذا يدون ويسجل ويحرص على ذلك حرصا شديدا ، وكان هذا الحرص على التدوين في حياة محمد الباكورة أرهاص بما قام به بعد أن استحصده عليه بتدوين الفقه وتصنيفه في صورة لم يسبق بها ، وكانت لسائر الفقهاء من بعده نبراسا يعيشون إلى ضوءه في التأليف والتدوين .

٥ - على أن محمدا كان وهو يحافظ على دروس أبي حنيفة يخلف الى مجالس المحدثين في الكوفة ويروى عنهم ، ويذكر المؤرخون أن محمدا نشأ بالكوفة فطلب الحديث وسبع سمعا كثيرا ، وجالس ابا حنيفة واخذ عنه فطلب عليه الرأي وهذا يدل على أنه جمع منذ ايامه الاولى في طلب العلم بين الحديث والفقه ، وأنه وإن أخذ عن استاذه الاول الفقه والحديث كان يسعى الى حلقات المحدثين ليأخذ منهم الأحاديث والآثار .
عن وكيع قال : كنا نكره أن نمشي معه في طلب الحديث ، لأنه كان غلاما جميلا .

وما قاله وكيع يشير الى حقيقة تاريخية أوردتها كتب التراجم والطبقات ، وهي أن الإمام محمدا كان جميل الخلق وضيئا ، كما كان سمينا بمثلنا صحة وقوة ، وقد روى أن الإمام الشافعي قال عنه : ما رأيت سمينا أخف روحا من محمد بن الحسن .

٦ - ومات أبو حنيفة سنة ١٥٠ هـ بعد أن جلس محمد في حلقة نحو أربع سنوات كانت بمثابة البذرة الصالحة التي صادفت تربة جيدة فنبئت وازدهرت وجات بالخير العميم .

وأخذ محمد عن استاذه الثاني - وهو الإمام أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم المتوفى سنة ١٨٢ هـ - ما حال الموت بينه وبين أن يأخذه عن استاذه الاول وكان أبو يوسف يسلك منهج استاذه في تحقيق المسائل ، ولم يكن يقرأ لفقه شيخه فقط ، بل كان مقبها مجتهدا وإن لم يبلغ مبلغ شيخه في الفقه ، وكان كذلك محدثا حافظا حتى عد أحفظ أصحاب أبي حنيفة للحديث ، ومن هنا يكون محمد قد تلقى من أبي يوسف فقه أبي حنيفة وفقه أبي يوسف نفسه ، كما تلقى عنه الأحاديث والآثار التي قام عليها الفقه العراقي .

٧ - ومحمد لم ينقطع الى أبي يوسف كما لم ينقطع من قبل الى أبي حنيفة ، فهو طالب علم منهم يسعى وراءه لئى تيسر له في الكوفة وغيرها من الأمصار الإسلامية ، ولذلك كثرت مشايخه وتنوعت ثقاتهم ، فمنهم المفسر ، والمحدث والفقيه واللغوى والأديب والمؤرخ ، وكان يرحل الى من يستطيع الرحيل اليه ، ويرأسل من يعز عليه لقاءه .

ويروى أنه اتصل بالإمام الأوزاعي عن طريق المراسلة ، وإن كان ما رواه محمد عن هذا الإمام يثبت أنه لقيه ، وربما التقى به في موسم من مواسم الحج ، أو رحل الى الشام ليلقاه كما يرى بعض المحدثين .

أما الذين أخذ عنهم عن طريق الرحلة فهم كثيرون ، وقد تعددت رحلاته الى البصرة وبكة والمدينة ، وأخذ عن علماء هذه البلاد ما يشاء أن يأخذ من العلم ، وتعد رحلاته الى الحجاز من أبرز وأهم الرحلات العلمية في حياته ، لأن هذا القطر العزيز كان ملتقى - وما يزال - كثير من فقهاء الأمصار الإسلامية في شهور الحج ، وكانوا يهتفون فرصة لقائهم في جوار البيت الحرام ، ومسجد الرسول الكريم ، ليتدارسوا ويناقشوا ويطلع كل منهم على ما لدى غيره من الآثار والأراء .

٨ - والذي لا ريب فيه أن محمدا قد اتصل بكثير من الفقهاء في موسم الحج ، وأخذ عنهم ولا سيما حين لازم الإمام فالكا ثلاث سنوات في أوائل عهد المهدي ليروى عنه الموطأ ، ويسجل مع روايته لهذا الكتاب ما جرى بينه

وبين شيوخ المدينة من مناظرات ومناقشات في كتابه (الحجة) أو (الحجج) ، ومن ثم كانت لهذه الرحلات قيمتها العلمية في حياة الإمام محمد ، فهي قد أثرت مؤلفين هامين من مؤلفاته هما : كتاب (الحجة) و (الموطأ برواية محمد) ، كما أنها اتاحت له معرفة الفقه الحجازي ومدارسته عن كتب ، ومكتبه من لقاء كثير من الفقهاء والمحدثين الذين يقطنون ببلاد نائية عن العراق ، فعرف من الأحاديث والآراء الشيء الكثير ، بالإضافة إلى ما عرفه على أيدي أبي حنيفة وأبي يوسف وسواهما من فقهاء العراق ، واجتمع له بهذا كله فقه الكوفة والمدينة وآثار العراق والحجاز ، فضلاً عن آثار وفقه سائر البلاد الأخرى التي كان فقهاؤها يرحلون إلى الحجاز في موسم الحج أو غيره .

٩ - وبعد أوبة محمد إلى الكوفة وقد روي الموطأ لا تقدم لنا مصادر حياته شيئاً ذا بال عنه إلا بعد أن انتقل إلى بغداد في زمن الرشيد ، ولا ندري هل جلس محمد من أستاذه الثاني مجلس التلميذ في الكوفة بعد عودته من المدينة ، أو أن أستاذه هذا كان قد شد رحاله إلى بغداد ليتولى القضاء للخليفة المهدي وأن محمداً قد تحلق حوله تلاميذه ليدرسوا عليه وليكونوا فيها بعد رواة لأثره . . ؟

والذي ترجمه الشواهد المختلفة أن محمداً بعد روايته للموطأ لم يجلس من أحد مجلس التلميذ ، وأن كان هذا لا يعني أن صلته بشيوخه قد انقطعت ، أو أن مناقشاته العلمية معهم قد توقفت ، ولكنه يعني أن عليه قد استحصد ، ومواهبه نبت وتعددت ، ونبوغه أخذ يستفيض ، وأنه تجاوز مرحلة الطلب إلى مرحلة الإجابة في الفقه والحديث واللغة .

١٠ - ولبت محمد في الكوفة قبل أن يرحل إلى بغداد ليقبض بها وبعد عودته الأخيرة من المدينة نحو عشر سنوات ، يدرس ويصنف ويؤلف ، يختلف إليه التلاميذ في بعض الأوقات ، ويعكف في بعضها الآخر على الكتابة والقراءة ، لا يشغله عن ذلك شغل ما ، فلهذه ثروة طائلة ورثها عن أبيه ، يسرت له ولأولاده حياة آمنة مستقرة فاقبل على العلم أشد الإقبال بحيث أصبح لا يفكر في شيء سواه ، وبلغ من ذلك أنه اتخذ وكيلاً له يتولى شؤون أولاده وأهله حتى لا يشغله بها يطالبون منه عن العلم ومدارسته ، ويبدو أنه كتب معظم آثاره في هذه الفترة ، التي مكثها في الكوفة قبل الانتقال إلى بغداد في عهد الرشيد ، ويرشح لهذا ما ذكره الصفدي من أن محمداً حين انتقل إلى بغداد اجتمع الناس إليه يسمعون كلامه ويستفتونه ، فرجع خبره إلى الرشيد ، وأنهم بأنه يجلس معه بكتاب الزندقة ، فأرسل إليه بعض رجاله ليصلوا كتبه وأمر بقتلها ، ونقل الصفدي عن الإمام محمد في هذا : فخشيت على نفسي من كتاب الحيل ، فقال لي الكاتب ما ترجمه هذا الكتاب ، فقلت كتاب الخيل ، فرمى به ولم يحمله .

١١ - ولم يسع محمد إلى بغداد طمعا في جاه أو منصب ، وإنما سعى إلى هذه المدينة الجديدة ، لأنها أصبحت بعد فترة وجيزة من تمصيرها مدينة العلم بها أنفق العباسيون عليها ، وشجعوا بالبنل والعطاء العلماء والشعراء على النزوح إليها والاقامة بها حتى تضاملت إلى جانبها منزلة الكوفة وغيرها من الأوصاف التي كانت مراكز العلم والثقافة قبل بناء تلك المدينة التي أضحت رمزا على الحضارة العباسية ونهضتها العلمية والفنية . وكانت شهرة محمد العلمية قد سبقته إلى بغداد كما يلهم ذلك مما ذكره

الصغدی ، وأنشأ. محمد فی عاصمة العباسیین يحدث ويفقه ويؤلف ، وامتلأت حلقتة بالرأغبين فی الاخذ عنه والدارسين عليه ، وأعجب الناس به أعجابا شديدا لورعه وفكائه وكثرة علمه وقصاحة لسانه ، وقد صار محمد فی بغداد المرجع الأول لأهل الراى فی حياة شيخه أبى يوسف ، ولعل هذا كان أحد العوامل التى لجأ اليها أهل السوء ليفسدوا ما بين الأستاذ والتلميذ .

١٢ - وما دام الإمام محمد قد انتقل الى بغداد من أجل العلم ورغبة فی نشره ، فإنه عاش فی هذه المدينة بنقطعا الى الاشتغال بالعلم تدريسا وتصنيفا فی اخلاص نادر ودأب متواصل ، وهيام غريب ، حتى روى أن ثيابه كانت تتسخ فلا يجد لديه من الوقت ما يسمح بخلعها ، ولهذا انزعج عندها طلب ليتولى قضاء الرقة ، لحرصه على التفرغ للعلم ، ونفوره من التقرب الى الحكام ، وخشيته من مسئولية القضاء ، ولكنه اكراهه على تولى قضاء هذه المدينة ، ومع هذا لم يشغله القضاء عن العلم ، فقد أنشأ فی الرقة يكتب ويراجع ويدون ، وقد لازمه مدة بقاءه فی قضاء الرقة تلميذه محمد بن سماعة الذى روى عن أستاذه كتاب (الرقيات) وهو جملة من المسائل التى قرعها الإمام محمد حينما كان قاضيا بهذه المدينة ، ومن ثم أطلق عليها هذا الاسم .

١٣ - وقد عزل الإمام محمد من قضاء الرقة بسبب جوابه الصريح فی امان الطالبى يحيى بن عبد الله بن الحسين ، ولم يكف الرشيد بعزل محمد ، فقد منعه من الإفتاء وأتهمه بالطوية ، ولذا أمر بتفتيش كتبه خوفا من أن يكون فيها شيء مما يحض الطلاب على الثورة ضد الرشيد ، غير أن هذا كان فی الواقع يقدر محمدا ويدرك منزلته بين معاصريه من الفقهاء ، ولسكن أهواء السياسة كانت تطفئ فی بعض الأحيان على المشاعر الطيبة فيتعرض الإمام محمد لما تعرض له من الإهانة والمضايقة .

وليس أدل على هذا من اختيار محمد ليكون قاضى القضاة ، فلو كان الرشيد لا يدرك مكانة هذا الإمام أدراكا سليما ما اختاره ليتولى هذا المنصب الهام فى الدولة على الرغم من جهره بكلمة الحق الذى لم يصادف هوى لذى الرشيد .

١٤ - ولم يمكث محمد مدة طويلة فى منصب قاضى القضاة ، فقد توفى فى سنة ١٨٩ على أرجح الآراء ، وهو قد عزل من قضاء الرقة فى سنة ١٨٧ . ولبيت فترة ممنوعا من الافتاء ، ثم عين بعد هذا قاضيا للقضاة ، فائدة التى قضاه فى هذا المنصب إذن تبلغ نحو عامين على وجه التقريب ، وفى هذه المدة الوجيزة جسنت علاقة محمد بالرشيد ، واتسمت بالاخلاص فى غير نفاق أو رياء ، وأن جنح محمد الى اصطناع الرفق واللين فى مخاطبة الرشيد ونصحه واقتائه ، ولكنه اللين الذى لا يجوز على الحق أو ينال من كرامة العلم . وقد توفى الإمام محمد فى قرية رمبوية من قرى الرى ، حين ذهب مع الرشيد الى تلك المنطقة ، وتوفى معه فى هذه الرحلة أيضا شيخ النصاة الكسائى ، وروى أنها ماتا معا فى يوم واحد ، فجزع الرشيد لموتهما وقال : ديفنت الفقه والنحو بالرى .

١٥ - هذه صورة عامة موجزة عن حياة الإمام الشيبانى ، ومنها يبدو مبلغ اقباله على طلب العلم وانصرافه اليه ، وانفاقه الأموال الطائلة من أجله ، فقد ورث من أبيه ثروة كبيرة أنفقها كلها فى سبيل العلم .

ومن كان مثل هذا الإمام في شغفه بالعلم واقباله عليه ، ومن كان مثله أيضا في توقد ذكائه ، وتهيجه بعقلية تشريعية خصبة فإنه يكون ذا أثر بارز في الفقه ، ومنزلة رفيعة بين الفقهاء .

وقد أومات في صدر هذه الكلمة الى المجالات التي ظهر فيها أثر الإمام محمد في تاريخنا العلمي ، واود هنا أن أقصّل القول بعض التفاصيل في أثره في مجال التدوين الفقهي ، والكتابة في العلاقات الدولية .

١٦ - أن تدوين الفقه ظل الى ما بعد عصر التابعين الأولين ممنوعا ، وظلت الآراء الفقهية محفوظة في الصدور حتى عصر الإمام أبي حنيفة ، وفي حلقة هذا الإمام كان بعض تلاميذه يدون آراء شيوخه ، وكان الشيخ في بعض ما يروي عنه ينهي تلاميذه عن الكتابة ، وفي بعضها الآخر ما يدل على أنه كان يأمر بتدوين المسائل بعد مناقشتها والانتهاه الى رأي جماعي فيها ، ومع هذا لم ينقل أن هذا التدوين الذي تم في حلقة شيخ فقهاء الكوفة في القرن الثاني قسّد خضع للترتيب والتبويب .

وقد أسلفت أن الإمام محمدا كان في حلقة أبي حنيفة يحرص أشد الحرص على التدوين ، وأن هذا الحرص كان إرهابا بها قام به من تدوين علمي للفقه لم يسبق به ، وهذه حقيقة تاريخية لا اختلاف عليها ، تؤكدتها مؤلفات الإمام الشيباني ، فهي تراث ضخم يجمع الفقه العراقي وأدلته في تبويب وترتيب يدل على عقلية علمية تنجح الى تفصيل المسائل وذكر الفروع بطريقة الانتراض والتصور العقلي في ترابط وتسلسل منطقي مع الاجتهاد في تقرير الحكم الشرعي لكل مسألة .

١٧ - وتدوين محمد للفقه العراقي الذي لم يسبق به كان الضوء الذي أثار الطريق لتدوين فقه المذاهب الاسلامية كلها بوجه عام ، فقد اتخذ الفقهاء منه قدوة اقتدوا بها في منهجه وبذلك دون الفقه الاسلامي كله وحفظوا منه الضياع . ونما هذا التدوين بمرور الأيام حتى تضخمّت تلك الثروة العلمية تضخما هائلا ، وغدت تراثا تشريعيًا وفكريًا رائعا لم تعرف البشرية له نظيرا في تاريخها الطويل .

وإذا كان تدوين محمد للفقه المصباح الذي أثار الطريق أمام فقهاء المذاهب جميعا ، وإذا كانت كتب هذا الإمام لحمة الكتب في كل المذاهب ، فإن لمحمد أثرا جليلا متصلا بالتدوين لم يسبق به أيضا ، وذلك ما يمكن أن يسمى بتدوين الفقه المقارن ، فكتاب الموطأ والحجة دون فقه الإمام محمد الفقه الحجازي والعراقي في موضوعية أمينة دقيقة لم تعرف قبله ، وكانت لمن جاء بعده نبراسا لمن كتب في اختلافات الفقهاء كابن جرير الطبري ، وابن رشد في بداية الاجتهاد ، وابن قدامة الحنبلي في كتابه المغني ، وأحمد بن يحيى في البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأئمة .

١٨ - وإذا كان الإمام الشيباني أول من دون الفقه الاسلامي فانه أيضا أول من كتب في تفصيل وشمول عن العلاقات الدولية ، وكتابه (السير الكبير) خير شاهد على ذلك ، فهذا الكتاب عمل فريد في موضوعه ، لم يؤلف فقيه غير الإمام محمد مثله ، سواء الذين تقدموا عليه أو الذين تأخروا عنه . وكلية سير جمع سيرة ، ويقصد بها الإمام محمد سيرة المسلمين في المعاملة مع غيرهم من المستأمنين وأهل الذمة والمرتبدين والمشرّكين .

وقد استوعب الإمام الشيباني في هذا الكتاب أحكام العلاقات بين المسلمين وغيرهم في حالات السلم والحرب ومسائل الأسرى وحصانة السفراء والمهادنات والمعاهدات ومجرى الحرب والغنائم وسواها من أدق المسائل التي لم ينتبه إليها فيبحث فيها الباحثون في القانون الدولي إلا بعد ثمانية قرون أو أكثر .

١٩ - وليس معنى أن كتاب السير فريد في موضوعه أن مؤلفه قد اخترعه اختراعا ، فالمعروف أن بعض الفقهاء الذين تتلمذ لهم الإمام محمد - تحدثوا عن السير كالإمام أبي حنيفة والأوزاعي وأبي يوسف ، ولكن كل ما جاء عن هؤلاء الأئمة كان يدور في نطاق محدود من القضايا ، وكان أشبه بالمحاولات الأولى بالنسبة للبحث الشامل الذي كتبه الإمام محمد ، فاستحق هذا الكتاب أن يكون فريدا في موضوعه ، واستحق مؤلفه - عن جدارة - أن يكون رائد التفكير القانوني الدولي في العالم كله .

لقد استقى الإمام الشيباني مادة كتابه من الآثار والأخبار من علماء عصره فقهاء ومحدثين ، وكانت هذه المادة الأساس الذي أقام عليه محمد عمله الرائع الذي يشهد له بغزارة العلم ، وعمق التفكير وشمول النظرة ودقة التفصيل والتبويب والتفريع .

٢٠ - وكان المنتظر أن يكون ما كتبه الإمام محمد حافظا للخلف من الفقهاء على الاهتمام بهذا الموضوع والكتابة فيه ، ولكن لم نجد مقبها واحدا كتب عن السير كتابا مفردا ، وكل ما جاء عن هذا الموضوع بعد الإمام محمد فصول موجزة في كتب الفقه تحت عنوان السير أو الجهاد ، وتتناول غالبا الغنائم وبعض أحكام الشهداء والأسرى ، ومن ثم ظل كتاب الإمام محمد الأثر الوحيد في تراثنا الفقهي الذي درس في شمول وتفصيل أحكام العلاقات بين المسلمين وغيرهم في حالات السلم والحرب .

أن كتاب السير الكبير عده الرشيد فخرا لعصره ، وهو كذلك ، فما عرف هذا العصر في العالم كله أثرا علميا خاصا بالعلاقات الدولية مثل هذا الكتاب ، وما عرف غير هذا العصر في تراثنا الفقهي كتابا مثله ، فهو لهذا فخر الفكر القانوني الإسلامي يعتز به كل الاعتزاز .

٢١ - وما دام الإمام محمد الفقيه الوحيد الذي كتب عن العلاقات الدولية في الإسلام في تفصيل وشمول لم يسبق به ، فإنه بهذا عد مؤسسا للفكر القانوني الدولي في الإسلام ، ولأنه سبق (جروتويس) الهولندي الذي يعد لدى الأوروبيين مؤسس القانون الدولي بأكثر من ثمانمائة عام ، فقد توفي جروتويس سنة ١٦٤٥ م على حين مات الإمام محمد سنة ١٨٩ هـ - ٨٠٤ م ، فإن الإمام الشيباني لذلك يعد مؤسسا للقانون الدولي في العالم كله .

لقد كتب جروتويس في سنة ١٦٢٥ م كتابا تحت عنوان « في قانون الحرب والسلم » وتضمن هذا الكتاب تنظيما يكاد يكون كاملا لما قد يقوم بين الدول من روابط وعلاقات ، ولاهية هذا الكتاب التزمته الدول في أوروبا دستوراً لعلاقاتها الخارجية مدى قرنين من الزمان ، واعتبر مؤلفه أبا القانون الدولي ، وارتبط اسم جر وتويس بنشأة هذا العلم لدى فقهاء هذا القانون الغربيين .

ولوجود تشابه كبير بين كتاب (السير الكبير) وكتاب (فى قانون الحرب والسلام)، نرى المنهج والمبادئ يرجع بعض الباحثين المحدثين أن جروتويس ربما اطلع على كتاب السير الكبير ، وأنه نقل المبادئ الأساسية التى كتبها الإمام محمد فى العلاقات الدولية ، ثم نسبها جروتويس الى نفسه .

٢٢ - وسواء أكان جروتويس قد اطلع على كتاب السير الكبير أم لم يطلع عليه فإن الإمام الشيبانى سبق جروتويس بفترة زمنية طويلة ، واعتمد فى كتابه على المصادر الأصلية للشريعة الإسلامية ، وتحدث فى أمور وقضايا لم يتحدث عنها غيره من الفقهاء المسلمين أو سواهم إلا فى العصر الحديث ، ولكن جروتويس اعتمد على القانون الطبيعى ، فكان الإمام الشيبانى لهذا مؤسسا للقانون الدولى فى العالم كله بلا جدال .

وليس فضل الإمام الشيبانى أنه أول من كتب فى القانون الدولى ، وإنما يظهر فضله أيضا فى مجال هذا القانون أن فقهاء المعاصرين لم يأتوا بجديد بالنسبة لما كتبه الإمام محمد .

٢٣ - وقد عرف الباحثون الأوروبيون اسم الإمام الشيبانى فى القرن الماضى ، بعد أن ترجم كتابه السير الكبير الى اللغة التركية ، ومنها الى بعض اللغات الأوروبية ، فاهتموا بهذا الإمام ومؤلفاته فى مجال العلاقات الدولية ، وانتهوا فى دراساتهم عن هذا الإمام الى أنه خلق بأن يأخذ مكانه الحق بين رواد القانون العالميين .

وتقديرًا لمكانة الإمام الشيبانى فى ميدان الكتابة فى القوانين الدولى أسست جمعيات فى ألمانيا وفرنسا وأمريكا تحمل اسم (جمعية أصدقاء الشيبانى للقانون الدولى) والغرض من هذه الجمعيات كما قال دعايتها والغائبون عليها ترجمة مؤلفات الشيبانى وغيره من الفقهاء المسلمين التى تناولت الحديث عن العلاقات الدولية الى اللغات الأخرى ، بغية استكمال المؤلفات العالمية الرئيسية فى هذا الموضوع ، ولذلك ترجم كتاب السير الكبير الى بعض اللغات الأوروبية ، كما أدركت الأمم المتحدة أخيرا قيمة هذا الكتاب ، فترجمته منظمة اليونسكو الى اللغة الفرنسية ، لقد أصبح كتاب السير كتابا عالميا ، وهو جدير بهذا ، ولولاه لما كان فى تراثنا الفقهى عمل فى موضوعه يحفل غيرنا على الاعتراف بفضل فقهائنا العظماء فى مجال الكتابة فى العلاقات الدولية .

٢٤ - ويعد فإن الإمام الشيبانى عده بعض الدارسين أعظم فقهاء الاسلام لأن أثره الجليل فى تاريخنا الفقهى يفوق أثر غيره من الفقهاء ويكفى أنه أول من دون الفقه على منهج علمى لم يسبق به ، كما أنه أول من كتب فى العلاقات الدولية كتابة تتسم بالشمول والتفصيل ، وهذا فخر للفكر الإسلامى ، وآية على أن رسالة الاسلام هى رسالة العلم والحضارة والإنسانية والفضيلة ، فما الشيبانى وسواه من القيم الفكرية فى تاريخنا الا ثمرة من ثمرات هذا الدين القيم الذى بعث به محمد صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين .

العيد في نظر الإسلام

- الرضا بما تم من عمل على وجه سليم والبشرى بجزائه ..
- تدارك ما يحدث من تقصير أو قصور وتصحيحه بجذو حزم ..
- أمل واستشراق لمستقبل أفضل ..

للاستاذ حسن عيسى عبد الظاهر

نعم على هذه الدعائم الثلاث يقيم الإسلام معنى العيد في نفس الفرد ،
وفى المجتمع ، ويزكيه ، ويحتفى به .
فالعيد وقفة لإلقاء نظرة على ماض قريب بها له ، وبما عليه ، وعلى
حاضر يفيد من تجارب هذا الماضي ، ويبنى عليه خطواته الى الأمام ، ونظرة
تطلع لمستقبل متكامل ترتبط فيه الحلقات الثلاث - الماضي والحاضر
والمستقبل - في تماسك بناء يدفع عجلة الحياة الى الأمام ، ويروود لها طريق
النجاح .

وحين شرع الإسلام لنا العيدين - عيد الفطر وعيد الأضحى - كان من
حكمة ذلك أن ينهى بهما على توالى السنين بأعيادها معانى الكفاح والطهر
وتربية الإرادة والفداء والتضحية والعمل الجاد في نفوسنا ومجتمعنا في
سبيل حياة كريمة في إطار من الإيمان والانسانية الفاضلة .

فإنه " ملينا عيد الفطر عقب ممارسة جادة لحمل النفس على العمل الخالص ، ونطعمها عن الشهوات ، وتربية إرادتها على الحزم والطهر والجديّة طوال شهر كامل يشغل فيه الإنسان - ليله ونهاره - بالصيام والقيام والعمل وطهر الجوارح ، ومحاسبة النفس ، وينتهي هذا الموسم للعمل على هذه الصورة بيوم هو : عيد يطل فيه الإنسان بنظرة فاحصة على حصاد شهر كامل نموذج للجهد والتربية والانتاج فماذا يرى ؟

يرى منجزات له قد تمت خلال هذا الشهر في سبيل دينه ودنياه في مجال نفسه ، ومجال أسرته ، ومجال مجتمعه . لكن هل تمت كلها على الوجه المطلوب ؟

قد يكون ذلك أو قريب منه ، ولكن بما لاشك فيه أن الكمال لله وحده . ونحن مطالبون بأن نعمل لبلوغ الكمال وأن ننشده جهد طاقتنا فإن لم ندركه كله فلا أقل من أن نقاربه .

وما يتم من عمل على وجهه الصحيح فذلك مبعث الرضا والارتياح . ومن هنا تكون للصائم فرحتان : فرحته هذه العاجلة بما تم له من عمل سليم ، فرحته بيوم فطره يوم عيده « ألم تر أن العمال إذا فرغوا من أعمالهم وفوا أجورهم » وفرحته المدخرة يوم لقاء ربه فيجزيه الجزاء الأوفى بما هو أهله على ما عمل وقدم .

ومن هنا كان ربط الإيمان بالعمل بالجزاء الدنيوي - تعجيلا بالمثوبة واستنهاضا للمزائم ، وبالجزاء الآخروي ادخارا للأجر الجزيل والنعيم المقيم - ريبا لحياة الإنسان الأولى بحياته الآخرة حتى لا ينفصم حاضره عن مستقبله ولا ينحصر نظره وهبه في دنياه فيعيش لها فحسب .

وما لم يتم من عمل على وجهه الصحيح : فما أن يكون ما حدث فيه من تصور نتيجة ظروف طرات هي فوق طاقة الإنسان ، وإما أن يكون عن عمد في هذا التقصير .

وكلا الموقنين له حدوده ، ونتائجه المترتبة عليه . فاما ما يحدث نتيجة ظروف طارئة لا يملك الإنسان لها دفعا ولا تخفيفا فهنا يكون مقام الإغذار ، لكن مع شحذ الطاقة في المسلم ودفعا لعلاج ما نقص وتدارك ما فات وإتمامه جهد الطاقة .

ويأتى هذا متمثلا في صورة من يفطر في نهار رمضان لمرض أو سفر فهو حين قصر به جهده عن أداء فريضة الصيام في حينها العذر طارئ ومقبول فهو هنا معذور ، لكن لا بد للعمل أن يستكمل على صورته ، أو على وجه بديل منها إذا ما انتهى العذر وذلك بقضاء ما فات ، أو بأطعام بديل عن الصوم إذا كان العجز مستمرا .

وهذا العلاج أو ذاك مطلوب القيام به مهما طال أمد إرجائه حين تتبصر ظروف التصحيح والتكميل ، وذلك ليستشعر الإنسان ضرورة أداء العمل ، وضرورة الكمال فيه حين يستقيم له أمره ، أو يزول عنه عذره حتى لا تكون هناك شغرة تدخل على النفس منها عوامل اهتزاز الثقة حين يستوى في ذلك

الذين يعملون والذين لا يعملون .
 إنهما لا يستويان أبداً في نظر الإسلام . ومن هنا كان الدفع الدائم للعمل
 وتجويدته وتدارك ما يفوت منه وتصحيح ما يقع فيه من خطأ .
 وأما ما يحدث من قصور في العمل ، أو إبطائه نتيجة تمعد ، أو استهتار
 فلهنا يتحدد علاج مثل هذا الموقف بأمرين :
 أولهما : أنه لا بد من إعادة مباشرة العمل نفسه مرة أخرى على وجهه
 صحيح احتراما للعمل ذاته ، ووفاء للالتزام بأدائه كاملا .
 ثانيهما : أنه لا بد من المؤاخظة على ما حدث من تقصير وإهمال جزاء
 عادلا ويتمثل لنا ذلك فيمن يأتي أمرا ينهي عنه يبطل به صومه متعمدا ،
 استجابة لشهوة ، أو ضعفا في عزيمة . هنا يلزمه الإسلام بالقضاء — الذي
 هو إعادة العمل مرة أخرى — في صورة صحيحة وكاملة ، ويلزمه أيضا بنوع
 من العقاب في صورة كفاية يؤديها مع القضاء حتى يكون هناك نوع من ردع
 النفس وأخذها بالحزم تطهيرا لها وتربية .



.. وإذا كان هذا صورة لما يتم في عيد الفطر — عيد العمل والكفاح والتربية
 خلال شهر رمضان قبله — فنفس التطبيق نراه في عيد الأضحى — عيد الفداء
 والتضحية وبذل الجهد وتحمل المشاق . فيشرق صباح يومه بعد عمل جاهد —
 من سفر وتضحية بالمال والوقت وأداء النسك ومشقات ذلك كله ثم ذلك الموقف
 الجامع على عرفات — ويستقبل الحجاج بعد ذلك الجهد يوم عيدهم بالفرحة ،
 ومع الفرحة موقف للمراجعة لما تم إنجازه من عمل . وإذا بهم يلهجون بالحمد
 والشكر على نعمة التوفيق في أعمالهم التي قاموا بها على الوجه المطلوب
 داعين ربهم « **ربنا آتانا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار** » .
 ومع المراجعة تبدو ثغرات فيما تم إنجازه ، فإن كانت لا تؤثر على حقيقة
 العمل المكلف به فإن علاج هذه الثغرات يكون بشيء من البذل والعطاء ممثلا
 في هدي يذبح أو صوم تطهر به النفس جبرا لما حدث من فتور أو خطأ .
 .. وأن كان ما حدث من تقصير يخل بحقيقة العمل نتيجة خور في العزيمة ،
 أو استسلام لشهوة ، أو جهل مطبق لما يأتيه من تصرف يفسد به عمله فإن
 يستجيب لشهوة الجنس وقت مباشرة أعمال الحج — وذلك مما يفسده — فهنا
 لا بد من اعتبار هذا العمل لاعيا ، ولا بد من استنائه في عام قاتل على وجهه
 صحيح تتلافى فيه الأخطاء ويتدارك النقص .



هذا . وإذا كان نهاية الصوم عيدا ، وزكاة ، وفرحا وتوسعة ، ونهاية
 الحج عيدا وهديا وفرحا فإن ما بعد العيد تجديد لما قبله ، وربط للمستقبل
 بجذور من الماضي المليء بالعمل والنماء ، بل وتطبيق لنشاط الماضي في صورة
 مستحقة .

نلمس ذلك من حرص الاسلام — مثلا — على دعوة المسلم لاستئناف الصيام عقب « عيد الفطر » مباشرة في صورة نفل تقبل عليه النفس راغبة بعد ان حملت عليه في صورة فرض تعاقب على تركه .



وفي هذا المعنى التفاتة تقتضى الوفاء بحقتها :
ذلك ان كثيرا من المسلمين يفهمون من شعائر الاسلام انها عبادات موسمية تنتهى بانتهاء موسمها ، وتستأنف بحلول هذا الموسم مرة أخرى من عام جديد . وبين انتهائها واستئنافها تثبت الصلة — عن غفلة — بها . وهذا خطأ في الفهم وفي التطبيق .

ذلك ان شعائر الاسلام ليست موسمية بقدر ما هي لذرية المسلم وتعويده على استصحاب آثارها دائما في حياته سواء كان ذلك وقت مباشرتها أو بعد وقت انتهائها .

ولنسق لذلك نماذج :

فمثلا شريعة الصوم ليست في رمضان فحسب بحيث تثبت صلة المسلم بها الى رمضان قادم ، بل اذا كان الصوم في رمضان فرضا . فلا بد ان يؤدي في غير رمضان بأى كيفية من كيفية الالتزام — كفارة ، أو قضاء — أو نذرا ، فان لم يكن نفلا في كل اسبوع أو في كل شهر بحيث يكون المسلم على صلة دائمة به طول العام .

وقد كان منهج سيدنا رسول الله عليه وسلم في ذلك منهجا حيا فكان يتابع الصوم بين الحين والحين لتكون النفس على صلة به حية بآثاره .
كذلك الزكاة : لا ينتهى التزام المسلم بها بأداء النصاب الشرعى فيها — زكاة مال كانت أو زكاة نفس — بل هناك — في صور أخرى من العطاء — الكفارات والنذور فان لم يكن فالصدقات طول العام وبلا حدود .
وكذلك الحج : ليس اطلالة عابرة في العمر على البيت الحرام ثم :
كان لم يكن بين الحجون الى الصفا

انيس ولم يسمر بمكة —

لا : بل ان صلة المسلم بقبلته وبمسجده الحرام صلة موصولة طول العام فان كانت على البعد ممثلة في الاتجاه اليه في كل صلاة فهي على القرب مطلوبة بشد الرحال . ثم بتكرار النسك في أى وقت من السنة وعلى وضع أضيقي في صورة مرة تجدد الذكرى طوال العام حتى يحين موعد الحج .
وهكذا يكون المسلم ازاء شعائر الاسلام موصولا بها دائما يرتكز حاضره على ماضيه ويبنى مستقبله على اصول راسخة من ماضيه وحاضره فتتصل حلقات الزمان مترابطة بقوى بعضها بعضا فتدفع عجلة الحياة في صورة متناسقة ومترابطة يعلو فيها البناء : لبنة الحاضر فوق لبنة الماضي ، ولبنة المستقبل فوقها فلا تنفصم عرى الحياة ، ولا تنقض حلقاتها ، وبين الحلقة والحلقة عيد يجدد الذكريات .

على أن مما ينبغي أن يكون موضع تذكّر واعتبار هنا أمران :
أولا : أن الاسلام يرتبط بالحياة — دقيقتها وجليلها — ارتباطا يجعل
شعائره وعباداته — ليل الانسان ونهاره — تدريبا للنفس البشرية في مهارتها
للأرض بمختلف الأعمال على السئين الذى تؤدى به هذه الشعائر من الالتزام
والصحة ، وما سقناه من أمثلة للصوم والزكاة والحج يلزم أن يكون نموذجا
ومنهجا وتطبيقا لبقية الأعمال الدنيوية من زراعة وصناعة وتجارة وغيرها .

ثانيا : أن دوافع المراجعة للعمل — لاستشعار الرضا والفرح بما تم منه
سليها وصحيجا — ولتصحيح النقص الذى يكون قد طرأ عليه وأخذ النفس
بمعالج أخطائه بلون من الحزم يتم ذلك كله هنا ذاتيا وبدون تدخل مباشر لأية
سلطة على نفس المسلم الا سلطة الايمان ومراقبة الله تعالى أولا . فيتمهم
قضاء ما فاتته ، وأداء ما لزمه من كفارات .

وهذا الأسلوب في أداء العمل على تلك الصورة تتوفر لنا به أمور :

منها : تربية حاسة النقد الذاتى في الفرد فيراجع عمله بنفسه حتى
ولو كان ذلك في يوم عيده فيعرف وجه الصواب ، ووجه الخطأ فيما يأتى وفيما
يدع ، وتتوازن مشاعره في عمله فيكون صالح العمل دافعا للمزيد ، ويكون
ناقصة منبها ومعلما لمعادته على وجه سليم .

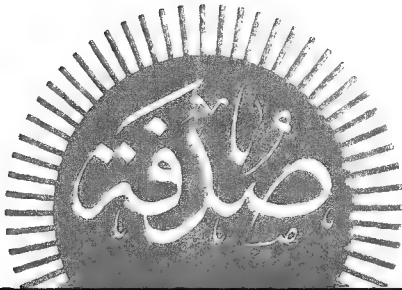
ومننا : احترام العمل لذاته . ووجوب أدائه صحيجا ، وتصحيح خطئه .
ومن هنا كان لزوم القضاء ولزوم الكفارة مهما تقدم العهد بالعمل الناقص اذ
يظل معلقا في عتق عامله حتى يقيم عوجه وفي ذلك تربية على احترام الحقوق
وأدائها على وجهها ولذاتها .

ومننا : ارتباط معنى العيد بقيم يعتد عليها العمل في وجوه أدائه
ووجوه السلوك والأخلاق التى يؤدى بها فيكون للعيد بذلك معنى بناء وهادف
لا معنى لاهيا أو خافلا .

ومننا : أن يتضمن كل عيد اضافة جديدة بالنسبة للمسلم اذ تتمكن من
نفسه معانى الاخلاص والاعتقان وتجنب الأخطاء ما أمكن ومحاسبة النفس أولا
بأول ، كما يتضمن اضافة جديدة بالنسبة للعمل ذاته بالالتزام بأدائه على
وجهه المطلوب وفي صورته المتكاملة فينبو وتنو به الحياة .

ومن هنا كان معنى العيد في نظر الاسلام ايجابيا للعامل والعمل في
اضافة لبنات في صرح النضج الانسانى والحضارى وإخصاب المجتمع بانتاج
متكامل ونام في سبيل مستقبل أفضل ترعاه عين الله وتباركه .

والله ولى التوفيق ..



أمر قصّد وقد سبّر

للاستاذ :

عزت محمد إبراهيم

و « هكسلى » عريق فى الإنكار وراثة وهما يجرى فى مروقته ، فجدّه « توماس هكسلى » هو صاحب « دارون » ومؤازره فى نظرية النشوء والتطور ، فالمسألة عنده مسألة انتصار العلم للتوارث أو الإنكار المتوارث ، وهى عنده أقرب إلى اللجاجة والعناد ، والمكابرة والمحافظة على الإرث القديم بكل ما عرف عن الانجليز من محافظة على قديمهم . وليس « هكسلى » بالمثل القليل النادر فى هذا المجال بين مفكرى الانجليز فقد سبقه « جون ستينوارت ملى » إلى مثل هذا الإنكار مقتفياً أثر أبيه الذى انكر المعتقدات الدينية فى أخريات حياته ومات على إنكاره . وقد رد على « هكسلى » كثيرون منهم « كريست موريسون » رئيس المجمع العلمى الأمريكى وقد ضمن رده كتابه « الإنسان لا يقوم وحده » وقد ترجم إلى العربية بعنوان « العلم يدعو إلى الإيمان » .

العلم اليوم هو شغل الناس الشاغل فى باب العقيدة والإيمان ، فقد حسب ضحك الناس نفساً وأهونهم إيماناً أن فيه فصل الخطاب لما كان يدور فى أنفسهم من إنكار مارتاحوا لما ظنوا أو ظنوا أنهم قد ارتاحوا ، « وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون » .

وهناك فريق آخر من أصحاب العلم والتجربة ، ومن ذوى الفكر الثاقب الذين لا يحسبون من عامة الناس وأوشابهم فيها وذكاء ومقدرة ، وهم مع ذلك سواء فى الإنكار وسوء الظن بالدين ، لأنهم كابروا واستكبروا ، واتكأوا من العلم بمعبود لهم ، يقيمون له الطقوس والمراسيم ، ويقدمون له الذبائح والقربان ، فاضلوا أنفسهم قبل أن يضلوا غيرهم من الناس . من هؤلاء العالم الانجليزى « جوليان هكسلى » صاحب كتاب « الإنسان لا يقوم وحده » المترجم إلى العربية بعنوان : « الإنسان الحديث » .

كان خلقها بغير فائدة ترجى منها ،
إذا كان الأمر أمر صدقة عمياء لا أمر
قصد وتدبير .

**(لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا
فيسبحان الله رب العرش عما
يصفون) .**

وما استطاع العلم بكل فتوحاته
وغزواته أن يأتي بحقيقة تخالف هذا
الإيمان بغير أن يعرض لها العقل
فيكشف زيفها ، أو يعرض لها العلم
نفسه فيقر باستحالتها .

وما من ادعاء علمي في باب
الوجود والانكار قد حظي بموافقة
شاملة من أصحاب العلم جميعا .

ويتحدث « موريسون » عن أصل
الحياة حديث العالم الذي يزن كل
كلمة بميزان المنطق الدقيق ، ولا
يخرج من حديثه بغير حقيقة واضحة
جلية هي أن هذا التدبير المحكم لا
يمكن أن يكون وليد صدفة ، ولا يمكن
أن يكون من عمل المادة الصماء
الجامدة التي لا تعي ولا تفعل .

« إن مئات الآلاف من الخلايا تبدو
كأنها مدفوعة لأن تفعل الشيء
الصواب في الوقت الصواب ، وفي
المكان الصواب ، والحق أنها طائفة ،
والحياة تدفع إلى الإمام ، بانيعة ،
وخالقة ما هو جديد وما هو أفضل
بنشاط لا يفتر ولا يقاس بما في
الأشياء الجامدة ، فهل هذا ناتج من
إدراك ؟ أم عن غريزة ؟ أم أنه مجرد
حدوث نحسب ؟ وببذلك أن تجيب
على ذلك بنفسك » .

أجل ، يمكنك أن تجيب على ذلك
بنفسك ، ولا حاجة بك إلى دليل
يرشدك غير دليل العقل الصحيح ،
والمنطق السليم البريء من الغرض ،
المنزه عن الهوى .

ومن تمام العلم بالله والإيمان به ،
النظر في مخلوقاته ، وتأمل ما تأتي
وما تدع ، وما جعلها الله عليه من
إحكام وتدبير ، والتأمل فيها بعد ذلك

ويسوق « موريسون » في كتابه
— الآنف الذكر — أكثر من دليل ينفي
الصدفة في الخلق ، ويعددها من عبث
التفكير الذي لا يجلس بالعلماء
الدارسين لأنه لا يصح أن يصدر من
أبسط العقول تفكيراً واقلها مقدرة
على البحث والاستنتاج ، فإن الشمس
لها درجة حرارة معينة ، ولها بعد
معين من الكرة الأرضية ، فلم كانت
على هذه الدرجة من الحرارة دون
غيرها ؟ ولم كانت على هذا البعد من
الأرض ولم تكن أقرب منها أو أبعد ؟
وتكون الإجابة أنه لو زادت درجة
الحرارة بمعدل خمسين درجة في
سنة واحدة ، فإن كل ما على الأرض
من نبات ينفي ، وكل إنسان يموت
احترقا أو تجهدا .

وللقشرة الأرضية سبك معين ،
فلم كانت قشرتها على هذا النحو ولم
تكن على نحو غيره ؟
وتكون الإجابة أن لو كانت قشرة
الأرض أسبك مما هي عليه ببضعة
أقدام لامص « ثاني أكسيد الكربون »
غاز « الأكسجين » وما أمكن وجود
النبات الذي عليه تتوقف دورة الحياة .
ويسألون سؤالا ويجيبون الجواب
الذي يؤكد حقيقة خالدة لخالق عظيم ،
خلق كل شيء بقدر ، وقدر لكل
كوكب في هذا الكون مكانه الصحيح
الذي تتحقق به الحياة ، ويكون به
الوجود . « لا الشمس ينبغي لها أن
تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار
وكل في مكان يسبحون » .

إن الخالق العظيم الذي خلق هذا
الكون ودبره ، هو الذي خلق الإنسان
من سلالة من طين ، ثم جعله في قرار
مكين ، لأن الذي خلق هذه العين
البشرية بما فيها من شبكة تتلقى
الصور والمرئيات ، لا بد أن يكون هو
ذاته الذي خلق الشمس وأذن لها أن
تبعث بأشعتها إلى الأرض لتكمل دور
شبكة العين متتحقق لها الرؤية ، وإلا

هو إقرار من الإنسان بعجزه وضعفه
حيال أصغر مخلوقاته وأكبرها على
السواء ، فإن العلم الذى جر بعض
الناس الى إنكار الخالق ليقت مجازا
مكتوف اليدين ، لا يقدر على تعليل
أبسط الأمور فى معجزات الخلق
والتكوين .

والإنسان اليوم فى أوج مجده
العلمى ينظر الى عنكبوت الماء فيأخذه
العجب ، ويقت حائرا وهو يرى أنثاه
تصنع لنفسها بيتا من النسيج تثبته
تحت الماء ، ثم تاتى بفقايعات الهواء
تطلقها أسفله حتى ينتفخ البيت
البالونى فتلد فيه صغارها فى أمان
من هبوب الرياح .

وعجب الإنسان من عنكبوت الماء
لا يقل من عجبه من شعابين الماء التى
تهاجر من البرك والأنهار لتضع بيضها
فى الأمصاق السحيقة من المياه ثم تموت
فيها ، وتخرج صغارها من هذه المياه
لا تعرف غيرها ، ثم لا يعلم غير الله
السر الذى يدفعها الى أن تعود الى
حيث نزلت أمهاتها من مهاجرها
الأولى .

وفى ولاية « نيو انجلند » فى امريكا
تخرج ملايين الجراد من شقوقها تحت
الأرض فى سنتها السابعة عشرة فى
اليوم الرابع والعشرين من شهر مايو
فهل اجتماع كل هذه الملايين فى هذا
اليوم المحدد من هذا الشهر هو من
قيل الصدفة ؟ أم هو النظام الحقيقى
المحكم الذى يدفع الى التأمل وإمعان
النظر فى دقته وإحكامه .

لا مكان للصدفة فى ذلك لأن
الصدفة تكون فى حالة أو حالتين ،
ولا تكون فى جميع الحالات ، فتهاجر
كل شعابين الماء الى مكان معين فى
وقت معين لتضع بيضها ، ثم يخرج
بها صغارها فتعود الى موطن
أمهاتها الذى هاجرت منه ، وتخرج
هذه الملايين من الجراد فى يوم واحد
بعد زمن واحد من بقائها تحت

الأرض .

أن القول بدور الصدفة فى هذا
الأمر ، لانه نظام ، ولأن النظام
والصدفة تعيضان لا يجتمعان .

وفى شؤون حياتنا العابرة ما ينفى
عمل الصدفة فى أبسط الأشياء ، فقد
يتقابل اثنان فى شارع ما فى ساعة
ما من النهار ، فيقال انها صدفة ،
فاذا تكررت المقابلة مرة أخرى وثالثة
انتهى عمل الصدفة وأصبح من المحتم
البحث عن علة أخرى تخالفها .

ولو أن الصدفة هى التى تحكم
عالمنا الذى نعيش فيه — اذا صح
للصدفة أن تحكم وتتحكم فيعيش فيه
كل كائن على هواه ، وحسب طبيعته ،
اذن لرأينا الحشرات تنمو فلا تنف
ينموها عند حد ، ولما كان لها هذه
الأنابيب التى تنفَس منها ، فتقت بها
عند هذا القدر الذى نراه عليها ،
فيسهل التخلص منها والقضاء عليها ،
والأفأى مسحوق أو مادة كان فى
استطاعتها اليوم القضاء على ذبابة
فى حجم الأسد ، أو عنكبوتا فى حجم
الفيل ، هذا اذا كان فى وسع
الإنسان أن يبقى حتى اليوم فى عالم
يجمع بينه وبين مثل هذه الكائنات .
فلم تخلق إذن هذه الأنابيب عبثا ،
ولم تستبدل بالرننتين صدفة ، وإنما
كان ذلك عن قصد واع ، وتدبير
محكم ، هو عالم الحيوان كما هو فى
عالم النبات ، فاذا أراد الإنسان أن
يغير شيئا من هذا النظام ، نال وبال
فعله ، كما حدث عندما نقلت استراليا
نبات الصبار اليها لتتخذ منه سياج
وقاء ، وهو ليس من نباتها ، فكانت
النتيجة أن امتد زحف هذا النبات
حتى استولى من أرض استراليا على
ما يوازي مساحة انجلترا ، فألتف
الزراع وزاحم الإنسان فى أرضه ،
ولم ينبج من خطر هذا الجيش
الزاحف فى صبت سوى اكتشاف
هشرة لا تعيش على غيره .

من قبيل الكلام الذى تؤيده الشواهد وتسوق اليه الحجج والبراهين .
وليس أرجح فى ذلك ولا أدل منى
بإيه من داروين نفسه صاحب نظرية
التطور الذى قال فى كتابه « حياة
ورسائل » ما نصه :

« إن ثمة مصدرا آخر للاعتقاد فى
وجود الله ، يرتبط بالعقل ، وله فى
نظري أهمية أكبر بكثير من المصادر
المتعلقة بالمشاعر والأحاسيس .
وهذا المصدر يأتى من الصعوبة
البالغة — أو بالأحرى استحالة تخيل
هذا الكون الفسيح الرائع الذى
يشبه الإنسان بقدرته على النظر الى
الماضى البعيد والى المستقبل البعيد
ايضا — على أنه ظهر نتيجة للمصادفة
وحين أفكر بهذه الطريقة أشعر بأنه
لا بد لى من البحث عن علة أولى لها
عقل بصير ، وهذا يعطينى الحق فى
أن أوصف بانئى مؤمن بالله . »

ولقد تقدم العلم اليوم ما شاء الله
له أن يتقدم ، ويستطيع الجراح أن
يساعد على التئام الجروح ليس
إلا وليس فى وسعهم أن
يجعل خلايا الجسم تنمو لى تنشئ
ذراعا فتدث ، أو رجلا بترت ، ولكن
الله عز وجل وضع هذا السر فى
أضعف مخلوقاته : مثلا وعبرة للناس
فإن دودة صغيرة هى «دورة الطنعم»
تقطع رأسها فتبادر على الفور الى
صنع رأس بدلا منه .

ولا نقول اليوم ما قيل بالأمس ،
اللهم إيماننا كإيمان المعجز ، بل نقول :
اللهم إيماننا على هدى وبصيرة ،
وعلى علم وتبصر ، فإن العلم يهتدى
لللرشد ، ولا يدفع الى الزيف الا من
كان فى قلبه مرض وقد كان العلم فى
بدء طريقه حين بهرت كشوفاته وأحدا
من العلماء فقال : أعطنى ماء ومواد
كيمياوية ووقتا كافيا اخلق انسانا .
ولا يقول اليوم مثل هذا القول انسان
به منسكة من عقل . وذلك لان قليلا
من العلم يعنى ويضل ، وكثيرا منه
يهدى ويرشد .

ولم يخلق الانسان هذه الحشرة ،
ولم يصنعها علماؤه فى معاملهم ،
وانما خلقها خالق نبات الصبار ،
وخالق كل شيء ، وما هم فى الضعف
وتلة الحيلة الا كما وصفهم عز وجل
فى محكم آياته : « وإن يسلبهم الذباب
شيئا لا يستنقذوه منه ضعف
الطالب والمطلوب » .

وقد قال أصحاب نظرية التطور
بنظريتهم ، ولم يكن علم الوراثة قد
اكتشف بعد سر وحدات الوراثة
« الناسلات » ، صاحبة الاثر البعيد
فى تكوين المخلوقات حتى ليكون من
اثرها تشابه لون أجنحة الفراشة
للون أجنحة أبوها فى دقة متناهية
« محين تطير الفراشة فى الهواء بكل
الوانها الباهرة . نرى بالميكروسكوب
أن أجنحتها مغطاة بقشرة تشبه
الريش ، وأن كل بقعة حمراء أو
سمرء أو خضراء أو صفراء ، هى فى
مثل المكان الذى كانت فيه على
الفراشة الأصلية ، وترقيطها يشبه
ترقيط أبويها من كل الوجوه الى حد
ميكروسكوبى تقريبا . » وهو دليل
جديد يقطع أصحاب النظر المادى
والنرجية الملبوسة بأن الكائنات
لا تكون من ارتقاء وتطور ،
وإنما تكون فى هذا السر المودع فى
ناسلاتها فيشكلها على شاكلته أسلافها
على تتابع الزمان والاحتباب .

وما زال الدليل يأتى تلو الدليل
على بطلان القول بأية وسيلة للخلق
تتألف مع وسيلة خلق الانسان فى
أحسن تقويم .

وهى ليست أدلة تاتى من
المناهضين والمفكرين للتطور
والتطوريين محسوب ، بل هى أدلة
تأتى منهم أنفسهم بعد أن رجعوا الى
جادة الصواب ، فأنكروا ما كانوا
بالأمس به يقتضون .

وليس ذلك من قبيل اللقاء الكلام على
عواهنه ، ولا هو من قبيل الكلام الذى
يدفع إليه الحساس والاندفاع ولكته

فكرة الواجب في الاخلاق

للالستاذ : سعيد زايد

لواامر العقل بالفعل او بالامتناع
أحكاما لذاتها لا تبغى الأمور الخارجية
والخوف من العقاب ، وإنما التخلق
للواجب في ذاته .

(فالواجب) مطلق لا يحسب
للأغراض أي حساب ، والتخلق —
في مجاله — لا يرتكز على هواجس
النفس ، وإنما على العقل والارادة .
وبذلك يصبح علما ، كما يقول العلامة
كانط : « تخلق بحيث يكون تخلقك
واحدا لكل الناس » فهناك شروط ثلاثة
لفعل الواجب : أولها أن يؤدي من
غير نفع شخصي ، وثانيها أن يفترض
فاعله التضحية حين الأداء ، وثالثها
أن يتضمن الفعل نوعا من الزهد في
الجزاء والسمو الى عالم المثل .

ويمكن القول بأن المدرسة
الاجتماعية الفرنسية قد انتهت في
أبحاثها ، الى ما انتهى اليه العلاج
كانط وان اتبعت طريقا آخر مخالفا
لما سار هو عليه . فهناك تمييز —
نجده عند دوركيم — بين نوعين
من الاعمال : أعمال تتضمن عقابا ،

(الواجب) هو ما على الإنسان
أن يفعله نحو الناس ونحو نفسه ،
وهو بذلك يخالف (الحق) فهذا
الأخير هو ما للإنسان عند الناس
وعند غيره . ويختلف (الواجب) في
ميدان الأخلاق عنه في ميدان
القانون ، فهو من وجهة النظر
الأخلاقية يرجع الى احساس
الشخص واحترامه للرأي العام ،
ولكنه من وجهة النظر القانونية يرجع
الى خوف الشخص من العقاب ، فهو
بهذا يتضمن شيئا ماديا خارجيا مثل
السجن ..

ويبقى (الواجب) الخير الحقيقي
للإنسان ، وهو دافع أخلاقي ينظر
الى الفعل الاخلاقي كفاية بعيدة كل
البعد عن المنفعة والشهوات
والأغراض ، ويمكن اعتباره نوعا من
الأمر أو النهي للوقوف الى جانب الخير
والابتعاد عن الشر دون أي ضغط
خارجي . فالإنسان حر في قبول
الفعل الأخلاقي بحض اختياره لأنه
يملك السيادة النفسية ، ولذلك كانت

من عطف نحو أفرادها .
وهناك تقسيم ثالث يقوم أساسا
على الطبيعة الانسانية ، وعلى
اعتبار الإنسان حيوانا عاقلا وكائنا
مفكرا يمكنه ادراك الحقيقة ناصعة
واضحة ، وهو :

١ - واجبات عامة دائمة لا تتأثر
بتغير الزمان والمكان لأنها تشتمل على
طبيعة الإنسان كمخلوق له عقل يميز
به الفتح من السسامين ، مثل :
(لا تسرق) (لا تكذب) (اخلص
للوطن) و « احترم اقرباك ومعلميك
وكل من هو اكبر منك سنا » وهكذا
.. فهذه أوامر ترسم لنا واجبات
ضرورية حيوية لبقاء الفرد والمجتمع .

٢ - واجبات فرعية وان كانت
لا تقل في عموميتها ودوامها عن
الاولى ، أطلق عليها بعض العلماء
الحقائق الاخلاقية ، كالاخسان الى
الغير والمعدل بين الناس .

هذا ملخص للفكرة العامة عن
الواجب في ميدان الاخلاق
والتقسيمات التي تناولته من وجهة
نظر المدارس الفلسفية المختلفة ،
ولا بأس من أن نعرض هنا - انبها
للفائدة - نظرية قال بها العلامة
(جيو) والآراء التي قيلت في الرد
عليها .

قال العلامة سبنسر : « ان الحياة
نوع من الامتلاء ، تتطور نحو التعدد
ونحو اشكال جديدة من المخلوقات
المتباينة ، والعالم يسير دائما الى
الامام وفقا لهذا التطور » والظاهر
ان العلامة جيو قد حذا حذو سبنسر
في ميدان الاخلاق . فالاخلاق عنده
ما هي الا مظهر الحياة ، ومن طبيعة
الحياة - كما نعرف جميعا - الاتساع
والتشعب ، فالحضارة والتمدن
والروح الاجتماعية تدمو الى التوسع
في الاتصالات وتبادل المعاملة بين
الناس . فاذا نظرنا الى الناحية
الاقتصادية مثلا ، نجد المنتجين
والمستهلكين وما يؤدي ذلك من

كالاسراف في تعاطي شيء ما واخرى
عقباها خارج عن الفعل ذاته .
فالاساس الاول للتفسير الاخلاقي عند
دوركهم هو المجتمع ذاته ، فالعرف
والتقليد والمعادن لها اصول ولها
منطق معين ولها احكامها الواجبة التي
تقع على كل خارج عنها . و (الروح
الكلية) عند المدرسة الاجتماعية
الفرنسية تفرض علينا ضغطا ونوعا
معينا من السلوك من يخرج عليه يعد
مارقا في نظر المجتمع . والواجب
الاجتماعي يبلغ من السسمو مبلغ
الواجب النفسي ، لان الاول يراعى
المجتمع ، والثاني يراعى الانسانية
من وجهة النظر العلمية .

وتنقسم الواجبات حسبها يترامى
للمفكرين ، وحسب الاساس الذي
تبني عليه هذه التقاسيم . فالتقسيم
يقوم تارة على تمييز لطبقات المجتمع
مثل :

١ - واجبات اصحاب الجاه
والسلطان .

٢ - واجبات الملوك
والرأسماليين .

٣ - واجبات الطبقة الوسطى .

٤ - واجبات الطبقة الفقيرة .

وهناك تقسيم آخر يوجد عادة في
كتب الاخلاق ، هو :

١ - واجبات خاصة للفرد نحو
عقله وجسمه .

٢ - واجبات خاصة بالعائلة من
والدين واخوة وزوجة وابناء .. الخ .

٣ - واجبات اجتماعية ومحورها
فكرة العدل .

٤ - واجبات سياسية مثل
الانتخاب .

٥ - واجبات اقتصادية ، مثل
الادخار والمساهمة في بناء الحياة
الاقتصادية للأمة .

٦ - واجبات دينية ، كواجب
الشخص نحو ربه .

٧ - واجبات انسانية ، كواجب
الفرد نحو الانسانية ، وما يتضمنه

فكرة الواجب ضرورية فى عالم الأخلاق .

٢ - المثل الأعلى والواقع

نستطيع أن نقول أن كل مذهب فى علم الأخلاق الفلسفى هو مذهب مثالى عملى ، إذ يفرض أننا نضع نصب أعيننا غايات ينبغى أن توجد ، فهو يفرض نوعا من الشعور القوى يقترن به تصور ما ينزع إليه ، إذ أن الواقع لا يرضى حاجيات النفس ، والا فما كنا فى حاجة الى مثل أعلى ولا أخلاق فلسفية على الإطلاق .

ومع ذلك نستطيع القول أيضا أن كل مثل أعلى تستخدمه الأخلاق لا ينبغى أن يكون فوق الواقع لحسب ، ولكن ينبغى أيضا أن يكون بينه وبين الواقع صلوات تسمح بأن يقتربا من بعضهما ، فمن الوجهة الشخصية يجب أن يكون فى الامكان قبول المثل الأعلى ، ومن الوجهة الموضوعية يجب أيضا أن يكون فى الامكان تعقبه فى عالم التجربة والاعتقاد بأن اشخاص الانسان الذين يجب عليهم أن يريدوا وأن يفعلوا هم أشخاص حقيقيون فى الواقع ، والعالم الذى هو مسرح لارادتهم وأفعالهم هو عالم حقيقى ، وأن كل ما تستلزمه الأخلاق ينبغى أن يكون ممكنا من وجهات النظر الطبيعية والنفسية والتاريخية . ولا ينبغى القول بأن المثل الأعلى يناقض قوانين العالم الواقعى ،

فالذى يرمض مذهبا فلسفيا فى الأخلاق لأنه يقول بمثل أعلى فإن رفضه هذا يتضمن أن المثل الأعلى عديم الصلة بالواقع ، وهو فى الوقت ذاته يسير على مثل أعلى يصنعها لنفسه . فالواقع أن أى إنسان لا يستطيع أن يتبرا من كل مثل أعلى ، وإنما الخلاف هو حول أى المثل العليا ينبغى أن يتخذها لنفسه .

والعلم النظرى مثالى دائما فهو يعتمد على مبادئ ومصادر بسيطة

تشابك المصالح وتبادل المنافع ، وذلك لا يتم الا بإجماع الناس أو التفاهم بينهم . وإذا انتقلنا الى الناحية الإنسانية نجد حاجة الفرد الى التفاسل ومجهوده فى تربية أولاده ليصبحوا مواطنين صالحين . وغير ذلك من مظاهر الترابط بين الناس الذى يبنى على العنصر الشعورى للفرد من مشاركة فى الأثرع ومواساة فى الأثرع . وما دام هذان العنصران لا يتنازعان لانهما مظهران متوازيان ضروريان للحياة العادية ، فإن الأخلاق تصبح مظهرا من مظاهر الحياة وليس من الضرورى وجود (واجب) يضغط على الانسان للتخلق فهو شكلى فى الغالب سواء عند القدماء أو عند المحدثين ..

هذا الإنكار للعلاقة (جيو) (للواجب) جعله يستعيز عنه بدوافع متعددة تدومنا الى التخلق هى :

١ - الاحساس بالقدرة الداخلية وأهمية الشخصية .

٢ - هناك آراء تدعونا الى التخلق وهى آراء تؤمن بها شخصا .

٣ - الاتباع الاجتماعى واصطباغ المرات والالام بلون اجتماعى .

٤ - حب المخاطرة فى المعاملات .

٥ - محبة المثل الأعلى الذى يعد نوعا من المخاطرة الاخلاقية .

هذا تلخيص لراى العلامة (جيو) وهو راى خطير فى رفع الشعور بالواجب وعدم احترام آراء اخلاقية معينة ، يخشى منه أن يؤدى الى الفوضى الاخلاقية . فإن تجاهل قانون اخلاقى معين ، أو مبدأ اخلاقى خاص والنظر الى الفرد كمجرد كائن يعيش فى مجتمع ويخضع لأشياء مرسومة أن صح أن يكون فى عالم الحيوان ، فانه لا يصح فى عالم الانسان .

ولا تطابق التجربة أبداً ، والفكر الإنشائي المعقول لا يحصل إلا لانسا
ننظر في عامل جزئى فى الموضوع ثم
نستخرج منه كل النتائج ، فالهندسة
مثلا تنظر الى الأشياء من حيث
تميزها عن بعضها فحسب ثم تستنبط
قوانين عامة حون اعتبار لسمات
صفات الأشياء ، فهى بهذا المنهج
تنشئ حيزا مثاليا ، وكذلك علم
الأخلاق باعتماده على علم النفس
والتاريخ ينشئ ضميرا مثاليا ،
فضمير الإنسان يتألف من عوامل
مختلفة أو متخالفة أحيانا ، فالمحاكاة
والعرف المتواتر والأناثية والطمع
وحسب رآى الآخرين وخوف العقاب
والتقوى ومحبة الناس والتدين
والشعور الاجتماعى ، كل هذه
وغيرها تضطرب فى الضمير
العادى . فالضمير ليس شعورا
بسيطاً كما يحسب أحيانا ، فالعالم
المختلفة فى الأخلاق ليس مجال
تنازعها التاريخ والنوع الإنشائى
فحسب ، بل أنها تتنازع أيضا داخل
ضمير الإنسان ، فالمصالح المختلفة
والغايات تتنازع فيها بينما لتقرير أيها
ينتهى بالفصل فى التقدير الذى يقدر
به كل انسان أفعاله أو أفعاله غيره
من الناس .

والمحاولات التى تبذل فى سبيل
بسط علم أخلاقى معقول يجب أن
يكون أساسها قائما على محرك جزئى
للتقدير ، وهى بذلك أنها تسلك
مسلك المثل الأعلى .

وتاريخ الأخلاق الفلسفية خير
شاهد على محاولة المفكرين شرح هذه
الحركات وبسطها للأنام . فهذا
(هوبز) و (بنتام) يستندان على
عامل الأنانية أو المصلحة الشخصية ،
وهذا (هتسبون) و (هيوم)
و (آدم سميث) يستندون على
الشركة الإنفعالية بين الناس أى التى
تقوم على الاشتراك فى المصالح ،
وهذا (هيغل) يستند على معنى

الدول والاجتماع الحضارى .
وأهمية الأخلاق الفلسفية هنا هى
دفع الغايات المختلفة التى قد يقصدها
الناس وما يصدر عنها من نتائج الى
درجة الضمير الكامل ، وهذا
ما يوضح مختلف المثل العليا وما بينها
من نزاع هو من أكبر الفوائد التى
يعطينها علم الأخلاق النظرى الى
الاجتهاد الخلقى العلى . وقيمة
الفائدة تتوقف على محرك التقدير
المختار للدرس لأنه بناء عليه تقدر كل
الحركات وكل الميول بواسطة
الأساس المختار حسب الوصول بها
مباشرة أو بالواسطة الى اتجاه المثل
الأعلى الذى يهذى اليه الأساس .
والفرق هنا بين العلم النظرى
والعلم العلى هو أن كل المثل العليا
عبارة عن مقربات نحو الحقيقة التى
هى الغرض الذى يحاول الفكر أن
يلغنه ، ومن الوجهة العملية تكون
الحقيقة هى التى ينبغى أن تعدل
وتقرب من المثل العليا .

ولكن القول أن المثل العليا تبعد
عن الواقع من جهات ثلاث هى :
١ - أن الإرادة والفعل الحقيقيين
يشتملان على عناصر مضادة مباشرة
لما تقتضيه الأخلاق ، وهذه العناصر
تكبح الأخلاق جماعها وتحاول إبعادها
عن العالم الخلقى .

٢ - أن الإرادة والفعل الحقيقيين
لا تعطيان فى أغلب الأحيان الا جزءا
ضعيفا ناقصا مما تتطلبه الأخلاق .
٣ - ربما احتاجت الإرادة والفعل
الحقيقيان الى مطابقة العقل والوحدة
والانسجام ، فيشعر الإنسان
باندفاعات مختلفة ونزعات متضادة .
وهنا لا بد من تأليف وتركيز وجمع
وتوفيق بين العناصر المتفرقة المتنافرة ،
ويحاذى كل هذا فى الحياة الإرادية
العملية تنفيذ جملة من الحركات
والتصورات المركبة ، والقدرة على
انجاز التفكير وتغليب الآراء وذلك
سبيله العزم والتقرير .

مفهوم الزهد في الإسلام

للشيخ ابو الوفا مصطفى المراغي

امتازت كل جماعة من اشياعها بأفكار وشعارات وأزياء مختلفة وقد أخذ الزمن يحور ويطور في تلك الفكرة بالإضافة والتأويل والحذف والتغيير، وبعد أن كانت فكرة بسيطة أخذت تنمو وتكبر وتتشعب وتتفرع حتى غدت فنا كبيرا ألفت فيه الفصول والأبواب والكتب .

وقد يكون مبعث فسكرة الزهد أو التصوف وأصل نشأتها أن جماعة من أرباب النفوس الصائفة والقلوب المستنيرة ، فكروا في الدنيا وما فيها

الزهد أو الزهادة .. فكرة أخلاقية قديمة ، عرفت كثير من الأمم قديما وربما تكون قد عرفت قبل أن تعرف الأديان .. وهين جاءت الأديان استغلت من نصوصها ما يلائم موضوعها ، وفي الأديان سماوية كانت أم أرضية دلائل توائم هذه الفكرة وتساندها سواء بالنصوص أو الإشارات والمفاهيم .. وقد امتازت تلك الفكرة بآنتسابات مختلفة فهناك زهاديات بوذية وزرادشتية وموسوية وعيسوية ومحمدية ، كما

الشرع ومقاصده، فقال بعض القدامى منهم .. رأس الزهد وأصله في القلوب هو احتشار الدنيا واستصغارها والنظر إليها بعين القلة هو الأصل الذي يكون منه حقيقة الزهد ..

وقال العلامة الغزالي :

« الزهد أن تترك الدنيا لعلك بحقارتها بالإضافة إلى الآخرة » .

وبما قاله أبو العتاهية في معرض الحديث عن الزهد :

إذا كان القليل يسد مقري

ولم أجد الكثير فلا أبالي

وقال بعض المحدثين في تعريف الزهد :

« هو أن تطيب نفسك عن مال تعمر به خزائنك ثم تجود به طائعا للفقراء والمعوذين » ..

والذي يتتبع تعريفات الزهد قديما وحديثا يلاحظ أن هناك عنصرين أساسيين لا بد منهما في تحقق مفهومه أي أن تصور الناس له أحدهما الحرمان ، أعني حرمان النفس من شيء من لذائذ الحياة اختيارا والتضحية بما تقدر عليه .. والثاني أن يكون ذلك الحرمان مما تملك ومما أنت قادر عليه فإذا كان ذلك الحرمان من شيء لا تقدر عليه ولم يقع تحت يدك فليس ذلك زهدا وإنما هو عجز لا اختيار لك فيه ولا يدخل في باب من أبواب الفضائل ، وذلك هو ما عبر عنه أحد قدامى المتصوفين حين قال :

« إذا حدثتك نفسك بترك الدنيا عند أدبارها فهو خدعة وإذا حدثتك بتركها عند أقبالها فذاك » .

ومما قاله أحد المحدثين في ذلك — ولكن في أنفعال وحدة :

« أن من الإجماع في الحياة العقلية والوجدانية أن نصف المفلسين والمعجزة بالزهد إن الزهد أن تترك بعض ما تملك ، والعفاف أن تكون

من لذائذ ومباهج وما تصويه من زروع ونهار وجنات وأنهار وفضة وذهب .. وجاه وحسب فوجدوا أن أمد ذلك قليل وعمره قصير لا يستحق أن يخلوا به ويقتنوا حياتهم عليه ، ويعتبروا أنفسهم بالسعى إليه ، فانصرفوا عنها مكفين بما حصل من قوت وما تيسر من لباس ومنهم من وقف عند تلك الغاية ، ومنهم من طمع مع ذلك إلى غاية أخرى أجل وأسمى .. تلك الغاية هي معرفة الله ومعرفة سر الوجود .. ؟ والانتقال من نبع الحقائق الإلهية والاستمتاع بلذة القرب ونعيم الوصول فكانت زهادتهم للأمرين معا .. ومهما كانت بواعت الزهادة .. فهي في مفهومها العام عند جمهرة الناس .. الانصراف عن لذائذ الدنيا من طعام وشراب وزينة ولباس .. والقناعة من ذلك بما يقيم الأود ويستبقى الحياة ورصد الطاقة الإنسانية لعبادة الله والتزلف إليه رجاء ثبوته ورضوانه . وقد اقترن الزهد في أذهان الناس بالتصوف وامتزجا ببعضهما حتى غدوا شيئا واحدا وصار عنوان أحدهما يعني ما يعنيه عنوان الآخر فالزاهد متصوف والمتصوف زاهد واختلف المتكلمون في التصوف قديما وحديثا في تعريف الزهادة أو الزهد اختلافا كبيرا حسبما تصور كل منهم من حقيقته وحسب اختلاف أحوالهم ومقاماتهم .. وأمر التصوف أقرب إلى الوجدان منه إلى الحس والعقل، وبالف بعضهم في تعريفه حتى كاد يخرج من نطاق العقل وإلى حد يجعل من المتعذر تحقق صورته في واقع الحياة حيث جعل من الزهد ألا تشرب ماء باردا ولا تصرف فكر في غير الله تعالى ولا تسعى في طلب قوتك ومعايشك واقتصد بعضهم في ذلك فجعله قريبا من طبائع البشر ومن الطاقة الانسانية وإلى روح

عند القدرة مسيطرا على هواك ، إن الزهد لا يدل على ثورة النفس الا حين يتضمن معنى الحرمان ، والحرمان مما تملك اتقى وأصعب من الحرمان مما تؤمل لأن الملك يغريك بالحرص ويطمعك في المزيد ، أما المأمول فهو سراپ ، والخفة اليه لا تضمن في جميع الاحوال ، فالزهد فيه فضيلة الفارغين » .

ونحن إذا استبعدنا التعريفات المختلفة التي وضعها المتصوفة للزهد قديما وحديثا وصرنا النظر عن بعد بعضها عن الشرع والطبع واستعرضنا الدستور الذي وضعه الاسلام لحياة الانسان الشخصية في القرآن والسنة ، واستعرضنا ما ورد من الآيات والأحاديث مما يتصل بموضوع الزهد فقد نستطيع ان نصل الى تصوير تقريبي للزهد ، فمن الآيات التي وردت في قواعد دستور الحياة الشخصية للانسان قوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون . إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله » وقوله تعالى :

« يأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أهل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين . وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون » . وقوله جل شأنه :

« يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المرففين . قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون . قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى

بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون » .

ومن الأحاديث ما أخرجه مسلم عن عائشة رضى الله عنها :

« ان ناسا سألوا ازواج النبی صلى الله عليه وسلم عن عمله في السر ای ما كان يعمل بعيدا عن أعين أصحابه من الطاعات .. فقال بعضهم لا أتزوج النساء وقال بعضهم لا أنام على فراشي فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما بال أقوام يقول أحدهم كذا وكذا لکنی أصوم وأفطر وأنام وأقوم وأكل اللحم وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني » .

وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وغيرهم قال : أراد أناس من أصحاب رسول الله ان يرفضوا الدنيا ويتركوا النساء ويترهبوا فقام رسول الله فغلظ فيهم المقالة ثم قال : « إنما هلك من كان قبلكم بالشدید ، شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم أولئك بقاياهم في الديار والصوامع فاعبدوا الله ولا تشركوا به وحجوا واعتمرأوا واستقیبوا يستقيم بكم » .

وقوله صلى الله عليه وسلم :

« ما رواه أحمد عن ابن عمر : « كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا في غير إسراف ولا مخيلة » .

أما ما جاء من الآيات فيما يتصل بالزهد فمنها قوله تعالى :

« ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى » . وقوله تعالى :

« قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون شيئا » .

وقوله تعالى :

« اعلموا انها الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم

والانتهك في شئونها وعدم الاسراف في مستلذاتها حتى لا تتسفل عن الآخرة ولذا يرى بعض المفسرين المحدثين أن الامتناع عنها جريمة ، فيقول :

ان امتناع امرئ من الطيبات التي رزقه الله إياها مع الدامية الفطرية للاستمتاع بها إثم يجنيه على نفسه في الدنيا ويستحق به عقاب الله في الآخرة بزيادته في دين الله قربات لم يأذن بها الله ، وبما يترتب على ذلك من اضرار بعض حقوق الله وحقوق عباد الله كاضاعة حقوق امراته أو عياله ونهايك به اذا انتصب قدوة لغيره فكان سببا لغلو بعض الناس في الدين وتحريرهم على انفسهم وعلى من يقتدى بهم ما أهل الله تعالى والتحرير والتخليع تشريع وهو من حقوق الربوبية فمن انتحله لنفسه كان مدميا للربوبية أو كالمدمي لها ، ومن اتبع في ذلك فقد اتخذ ربا غير الله . ويمكننا أيضا أن نتصور أن للزهادة في الاسلام جانبين جانباً قلبيا هو الثقة بالله والرضا بما نصاب به في الدنيا خيرا كان أو شرا وجانباً حسيا هو الاقتصاد في الملذات المباحة وبعد كل ذلك يمكننا أن نرسم الزهادة بانها :

« التخفف من الدنيا وعدم التلطف عليها والاعتدال فيها تيسر من طيباتها مع الاعتماد على الله والثقة فيما عنده والرضا بما قدره » .

وبهذا تتلأف النصوص وتندفع عن الاسلام شبهة مجافاته لطباع الناس وسفن الوجود .

يكون خطاها وفي الآخرة عذاب شديد وسفورة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا الا متاع الفرور » .

أما ما ورد من الأحاديث في ذلك فتقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه أحمد :

« كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعد نفسك من أهل القبور » .

وتقوله فيما أخرجه ابن ماجه من حديث زيد بن ثابت :

« من أصبح وهمه الدنيا شئت الله عليه أمره وفرق عليه ضيعته — ما يعيش منه — وجعل فقره بين يديه ولم يأت من الدنيا الا ما كتب له ومن أصبح وهمه الآخرة جمع الله له همه وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغبة » .

وتقوله : « ليست الزهادة في الدنيا بتحريم الحلال ولا اضرار المال ولكن الزهد أن تكون بما في يد الله تعالى أوثق منك بما في يدك وأن تكون المصيبة اذا أصبت بها أرغب منك فيها لو أنها أبقيت لك » .

هذه جملة من الآيات والأحاديث في دستور الحياة الشخصية والانسانية وفيها يتصل بموضوع الزهد وبالتأمل فيها يمكننا أولا أن نستبعد من تصورنا للزهد في الاسلام فكرة الامتناع عن طيبات الحياة ومستلذاتها .. لأن المجموعة الاولى تحض على الاستمتاع بها والأخذ بنصيب منها والثانية لا تمنع منها وكل ما يمكن أن نفهمه منها أنها تدعو الى ترك الحرص على الدنيا



شدة السليخ

فالسليخ من الشباب

للاستاذ عبد الله سالم

عندما نبحث بجدية قضية (انسلاخ) شباب الإسلام من الإسلام ، و (انعتاق) أبناء العربية من عربيتهم ، لا بد أن نخرج ونقف طويلا مع الخطط والأساليب التي دفعت شباب المسلمين الى التمسك من اهلهم وعقائدهم ، ثم الجري وراء اعداء اهلهم وأعداء عقائدهم ، بل الالتصاق بهؤلاء الأعداء التصاقا اندماجيا ذوبانيا ..!

إن هناك طرقا عدة ، وسبلا شتى : اجاد استعمالها اعداؤنا ، وهم وحدهم المستفيدون من عملية الانسلاخ فأتت أكلها كما نرى .

من تلك السبل : التشويه الفكرى والتاريخى للحضارة الإسلامية : فلقد أبرز مؤرخو الغرب ومستشرقوه حضارة الإسلام فى صورة شوهاء ، والبسوها ثوبا فصلته أيديهم ، وخاططه أقلامهم فكيف يمكن أن نتصوره ؟ إنك لتجد الكثير من الطعن والانهام ، فى تواريخهم عن العرب والحضارة العربية ، مما يظهر كوا من الحقد والكراهية علانية .

خذ دائرة المعارف الإسلامية التى يقولون إنها من تأليف ائمة الاستشراق والفكر فى العالم ، ما هى إلا افتراءات كاذبة ، واتهامات حاكمة على الإسلام ،

ونبى الإسلام وأتباع الإسلام ، إنها تصور الفكر الإسلامى من صنع محمد ، ومن خواطره ، وإحياءاته ، وتصوراته أنه بحسب وضعه كان يتلون ويتغير ، فهو فى مكة غيره فى المدينة بالنسبة لليهود .

ومن هذا القبيل وبنفس الخطة — خطة التشويه والتزييف — ترى أكبر مؤرخيهم بروكلمان فى كتابه الشهير تاريخ الحضارة العربية يدس السم فى الدسم والحفظ بالعسل ، ويتعرض بالطمع والقدح لخلفاء المسلمين وحكامهم .

ومن الصنف ذاته أيضا معتمد بريطانيا فى مصر سابقا اللورد كرومر فى مذكراته ، يصور لنا العلم وكأنه أعدى الأعداء للإسلام ، والمسيحية الحاضرة وكأنها الحاضن الحقيقي للعلم ، ويصور العرب متأخرين متثاقلين لما اعتنقوا الاسلام . . ولقد تصدى له المرحوم لطفى المنفلوطى فأفحمه بالحجة والبيان ، وألقه حجرا كافيا لإسكته وإذلاله .

ونتيجة الجهود الحديثة ، والخطط الحديثة ، برز فى مجتمعنا مؤرخون وتكروا لتاريخهم العريق متأثرين بالمستشرقين ومقتفين لأثرهم فاذا بهم يخرجون لنا تاريخا مليئا بالدسائس والمؤامرات ، ومحشوا بالدعارة والترف ، ومنسما بالانشقاق والتهمز ليزعموا لنا أنه هو التاريخ الإسلامى !!!

والثال الأوضح فى هذا المجال هو جرجى زيدان الذى لم يتورع قط عن كيل التهم والنفاخس للإسلام وتاريخه ، وإن من لسف لسف جرجى كثير لا يدركه الحصر .

ولما كان شبابنا لا يرى فى مقال يد من تاريخ الحضارة المسلمة إلا ما خطته الأعلام الدينية أو المأجورة ، ولا يسع من مصادر الثقافة العامة إلا ما يلقيه إليه تلاميذ تلك الأعلام ودارسوا تواريخها فقد انطبعت فى ذهنه الصورة المشوهة الواهية عن التاريخ الإسلامى بأكمله . فما محمد إلا رجل مفكر ، يعيش مترما متكبرا ، تحميه السيوف ، وتحرسه الحرايب ، ويحف به القوم بمجلىن مكبرين ، وهو يترفع عنهم ، ويحرضهم على الغزو والنهب والسلب ، بينما ينغمس فى لذاته وشهواته ويتزوج من النساء ما يحلو له ويطيب ، وما أبو بكر وعمر وعثمان وعلى إلا أشخاص متنافسون على السلطة والخلافة ، وأما باقى الصحابة فمأرهاب أجلاف غلاظ القلوب والتفكير قد انتظبوا فى جماعات سياسية متنازعة . ثم ما الأمويون إلا فئة تسلطت على الرقاب فأقصت الأعاجم ، واعتمدت مبدأ القومية العرقية وشددت الخنساقي على أعدائها ، وتراهم فى أوهابهم عن العباسيين يتصورونهم ممثلين لمرحلة الأبهة والبذخ والتبذير فى تاريخنا ، فهم غارقون فى اقتناص لذائذهم سارحون وراء شهواتهم ومآربهم ، فهارون سكبر عرييد يعيش بين أمخاذ النساء ، وتتلفه أحضان الجوارى ، وتعتب بعقله الخسرة حتى الصباح ، وهكذا باقى تاريخنا ، إن لم يصطبغ بالمؤامرات أصطبغ بالإباحية ، وإلا فهو عصر انحطاط وتأخر حتى لكان تاريخنا هو تاريخ أخط وأشام أمم الأرض تصرفا وسلوكا وتفكيرا .

هذا رسم أولئك ، وهذا انطبع فى أذهان الشباب .

وإنى لأسائل . . ما يطلب أعداؤنا — شرقيين أم غربيين — منا أكثر من أن يسطوا على تاريخنا فيشوهوه فنبصره أعواما سوداء قائمة ، وأياما مظلمة مكفرة ، فنقطع بالتالى صلتنا مطلقا به ، ونتجرد عنه وعن كل ما يمت إليه بصلة لنغذو أمة لإسند من التاريخ لها ، ولا أصل من الفكر يدها ، وإلها هى وليدة مستولدة ، وحيدة فى العالم ، تعيش مرحلة الطفولة التى فيها طريقها الجديد .

وفى الحقيقة هكذا غدونا — كما أرادوا — متطفلين على العالم وموانده الفكرية والتاريخية بعد قطع كل حبل بيننا وبين أجدادنا وآبائنا وصانعى حضارة العالم فى يوم من الأيام وحاملى مشعل العلم والحرية للدينيا بأسرها . وما هو أبشع من هذا كله هو الوجه الآخر للتشويه ، إذ بعد سلخ الشباب عن تاريخهم التافه بزعمهم لفتوا أنظارهم الى تاريخ الغرب ومعاركه وإياه ، أو الى التاريخ القديم المغرق فى القدم الذى لا رابط لهم به ، ولا وجود لهم فيه ، أو لفتوا أنظارهم الى دراسة التاريخ الحديث والمعاصر للعرب وللأمة العربية بعد تفتيت الأمة الإسلامية الى أكثر من شعب ، وتقسيم أراضيها الى أكثر من وطن .

وهكذا استطاعوا أن يديروا وجه شباننا عن تاريخه الحافل بالأمجاد والبطولات ، بعد أن رآه فى الصورة التى رسموها وأبرزوا معالمها . وحتى أصبح شباننا يعرف عن فرنسا أو انكلترا أو أمريكا أو روسيا أو الفراعنة أو الحرب العالمية الأولى والثانية أضغاف أضغاف ما يعرفه عن القادسية واليرموك ونهاود ، ومعارك فارس والروم والهند وإسبانيا تلك التى خطتها سيوف المسلمين ، وروت أراضيها دماؤهم .

وفى مناهج المدارس التاريخية ما يغنى كل باحث عن طلب الدليل على صدق هذا القول وصحة ذلك الادعاء ، فالطالب منذ الصف الثالث يقرأ تاريخ الأتمين وكأنه سيختص بالتاريخ وينشره ، ثم فى الرابع أو الخامس فقط يدرس تاريخ العرب (هكذا يسمونه) وهو فى الواقع تاريخ أبتز مقتضب ، يذكر الوقائع بلا أسبابها ولا مبرراتها الحقيقية ويتفادى عن العلل الأساسية فيه وهو الإسلام فلا يذكر عنه إلا طرفا ، ولا يورده إلا لما ، ثم الطالب فى كل مرحلة من مراحل الدراسة الباقية تنقطع الصلة بينه وبين تاريخه الزاهر ، اللهم إلا صلة بالتاريخ الحديث للعرب الذى هو عبارة — كما يريد مؤرخونا المحدثون — عن مجموعة من الدساتيس والمؤامرات ، وصورة ضخمة بارزة للخلاف المستعمر أواره بين الحكام أو الأحزاب أو الأسر .

ثم يتررون للشباب تاريخ الغرب بتفاصيل دقيقة لا يعرفها أبناء أوربا أنفسهم ويذكرون له نشأة أمريكا ويمددون له رجال هذا البلد وعظماء ذلك ، ويلحقون كل درس بقراءات تاريخية من شتى الجهات والأشكال . وماذا بعد كل ما سبق :

لو أنك على سبيل المثال سألت طالبا يحمل البكلوريا (الشهادة الثانوية) عن معركة نهاوند أو موقعة اليمامة أو فتنة القرامطة أو مذهب الأشعرين ، أو عدل العميرين ، أو معركة مؤتة وذات السلاسل وموقع بلاد السودان .

هذا عدا المناهج التاريخية فى سورية ، وديار بكر ، وربيعة ، ودومة الجندل ، أو عن مذهب الظاهريين وأعداء المسلمين ، لا نغضح جهله ، وظهرت ضحالة فكره ، وكذب دعواه العلم ولط شقيقه والوى عنقه ، وثنى عطفه وأدار ظهره ، ثم ولى غير معقب .

وهل تستغرب منه هذا بعد أن تسلم تاريخنا أعداؤنا فطمسوا منه ما آلمهم ، وذاتوا فيه مرارة الخزي ، وروا خصاله عزة الإنسان المسلم ، ثم سملوا مكانه فى عقول الناشئة ما أرادوا وما حلا لهم .

وأغرب من هذا .

يلحظ المتبع لكتب التاريخ المدرسية ، أن التاريخ وهو المادة التي يجب أن تبتعد عنه يد التغيير والتحريف قد بدأت السياسة والنزعات الحزبية تمتد إليه وتحوره وتكيفه ، فما أمتدح قبل سنين هو عرضة للشتم والسب في هذا الحين ، وما كان صورة بطولية أو ماثرة أو مغفرة غدا الآن مسخا أسود وقردا (أبرد) ومحطا للسخرية والهزاء ، ثم لا ندري — والعلم عند الله — ما يفعل به بعد حين .
لا يا شباب ..

لا .. لأن الأمر مخلوط ومطلوب .. ولا لأن التاريخ مكذوب ومتلاعب به ..
ولا لأن كتيبه ليسوا أهلا للثقة فيما تخط أعلامهم أو فيما تسطره صحائفهم .

وإني لأرى من الفائدة أن أثبت بعض الأسطر للدكتور يوسف العث من مقدمة كتابه الدولة الأموية ، وأنا أرى فيه — أيضا — الرد العلمي المخسر لكل افتراءات هؤلاء على التاريخ الإسلامي يقول : ص ٢ ، ٣ : (ولقد حاول الكثيرون أن يصموا تاريخنا بكثرة الفتن والحروب والمكابد والاضطرابات ، وليس هنا مجال الرد عليهم ، غير أن النظرة الصحيحة إلى التاريخ من خلال عوامله المعقدة ، تعطى البيان الواضح من أن هذه الوصيات لا أصل لها صحيح ، وأن كل ما نرى الأمر أن هناك تفاعلات في المجتمع الإسلامي العربي كانت تأخذ طريقها ، ولا بد أن تأخذ طريقها في ذلك المجتمع ، وأن هذه التفاعلات سنة من سنن الله ولن تجد لسنة الله تبديلا ، وهي تفاعلات تحدث في كل أمة ، بل إن الأمم الأخرى كانت تتلقاها بمنف أكثر مما تلقاها به المسلمون والعرب ، وتاريخ الأمم الأخرى ممزوج بالحروب والفتن والاضطرابات أكثر من التاريخ العربي ، فهذا تاريخ فرنسا وألمانيا منذ الثورة الفرنسية (فرنسا وألمانيا من أعظم الأمم التي ساهمت في تاريخ العالم) إن تاريخهما مليء بالحروب ، حروب الثورة الفرنسية ، حروب نابليون ، حرب ١٨٧٠ ، حرب ١٩١٤ ، حرب ١٩٣٩ ، كل ذلك في مدى لا يتجاوز قرنا ونصف القرن ، والضحايا التي وقعت في هذه الحروب تتجاوز أضعافا مضاعفة ضحايا الحروب في تاريخنا بأجمعه) .
وفي الختام لا بد من تعقيب :

إذا كان تشويه التاريخ مفتعلا ، فمن الذي افتعله — ولم قام به ؟

أما عن الذين شوخوا تاريخنا فاتهم منا ومن غيرنا ، وهم أظهر من أن يختلفوا وأكثر من أن يحصروا .

وأما لم قاموا به ، فإن لم تتسرع نحن بالجواب ، فإن الواقع سيقدّمه لنا ، قاموا به ليحولوا وجه شبابنا عن تاريخنا ، وليسودوه في أعينهم فيتبرعوا منه في حياتهم العملية والسلوكية .

إن تاريخ أي أمة هو ملك لها ، لأنه جزء من كيانتها ووجودها ، فإذا ما أسلمته إلى أعدائها سواء كانوا من أبنائها أو من أبناء أصدقائها فعلى تلك الأمة العفاء .

يا شباب الإسلام : إن تاريخكم مليء بالبطولات ، غاص بالأمجاد ، حافل بالأنذاذ ، إن سيوفكم التي فتحت بها أذهان العالم لتقطر حكمة وعلمًا ، وإن جيوشكم التي حررت بها الأرض لتجيش بالرحمة والرفاء ، وإن أبطالكم الذين حكموا الدنيا بأسرها لهم مثل الإنسانية ومناظرها .

مكتبة المحلة

ابن تيمية املم السيف والقلم

حين يتحدث التاريخ عن قادة وابطل وعظماء الاسلام انها يذكرهم فى صفحاته بريشة التعظيم ويتكلم عنهم فى سطورهم بكل اكبار .. ذلك لان لهم مواقف عظيمة وادوارا مجيدة جديرة بان تكون مفخرة فى مجال الفخر . والكتاب الذى نقدبه للقارئ المسلم وللكتابة الاسلامية يحوى بين سطورهم سيرة رجل من طراز هؤلاء القادة الذين لعبت آراؤهم دورا هاما فى حياة الشعوب رجل مصلح بار ؛ عاش فى مجتمعه براه وعقيدته ومبذنه هو ابن تيمية . وقد القى مؤلف الكتاب الأستاذ سعد صادق محمد الضوء على كل جوانب وحياة هذه الشخصية المصلحة بصورة تجعل القارئ يقف على شىء من حياته ونشأته ! وعصره وآرائه فى الدين والحياة والفقه والتفسير ، وفى الاجتماع وسياسة الحكم . كما اشار الى مكانته العلمية والى خصوصه والى أنصاره والى جهاده فى سبيل الحق الذى آمن به وكافح فى سبيله ، ومات فى ساحته ..

والكتاب يشتمل على (١٤٢) صفحة أصدره المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة ضمن سلسلة كتب اسلامية العدد ١٤٨ .

رجال ونساء اسلموا

الحديث مع الذين شرح الله صدورهم للاسلام والحديث عنهم كلام شيق مشرق لانه نابع من القلب والوجدان لاتصاله الوثيق بالعقيدة التى هى اسمى ما فى الوجود كله .

ورجال ونساء اسلموا هذه هى الحلقة الثالثة التى أخرجها الأستاذ عرفات كابل العشى . وفى هذه الحلقة يتحدث المؤلف عن اثنى عشر دخلوا فى الاسلام من جنسيات مختلفة من الشرق والغرب وبعضهم رجال وبعضهم نساء . ولكل قصته الطريفة وظروفه اللطيفة ولقطات من حياته السابقة على الاسلام ، والعقبات التى اعترضت الطريق الى الحق الى دين الله دين الفطرة وكيف كان توفيق الله فى اجتياز كل هذه العقبات والوصول الى شاطئ الايمان .

والكتاب يقع فى (١٣٢) صفحة ومن نشر دار القلم — ص ب (٢٠١٤٦) — الكويت .

مائدة الفارسية

من يؤذن لنا .. ؟

ذهب بلال الى خليفة رسول الله يقول له :
انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : افضل عمل
المؤمن الجهاد فى سبيل الله . قال له ابو بكر : فما تشاء يا بلال .. ؟
قال : اردت ان اربط فى سبيل الله حتى اموت ، قال ابو بكر : ومن يؤذن
لنا .. ؟ قال بلال وعيناه تفيضان بالدمع : انى لا يؤذن لاحد بعد رسول
الله ، قال ابو بكر : بل ابق واذن لنا يا بلال . قال بلال : ان كنت اُمتقتنى
لاكون لك فليكن لك ما تريد وان كنت اُمتقتنى لله فمدنى لله . قال ابو
بكر : بل اُمتقتك لله يا بلال .

وبعد ذلك رحل بلال الى الشام ، وكان آخر آذان له أيام ان زار الشام
أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فرجاه ان يؤذن فاذن فبكى الصحابة كما لم
يكونوا أبدا ، وكان عمر اشدهم بكاء .
ومات بلال بالشام مرابطا فى سبيل الله ، وتحت ثرى دمشق يثوى
رفاته .

يقظة المؤمن ..

أعاهدك لا أقاتلك فأطلق رسول الله
سراحه وعاد الى مكة ، فلما كانت
غزوة أحد خرج مع قريش ليحارب
المسلمين فى غزوة أحد ، ولكنه وقع
فى الأسر ، فتقدم الى النبى يستعطفه
فقال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم « لا تمسح عارضيك بمكة
وتقول سخرت ب محمد مرتين ، لا يلدغ
المؤمن من جحر مرتين » ولم يعف
عنه .

« لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين »
أول من نطق بهذه الحكمة رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، وسبب هذا
الحديث انه لما كانت غزوة بدر الكبرى
التي انتصر فيها المسلمون على
المشركين - كان بين الأسرى أبو عزة
الجمحى فتقدم الى النبى واستعطفه
ليطلق سراحه ، وشكا فقره وعياله
فقال : لى خمس بنسات ليس لهن
شئ ، فتصدق بى عليهن ، وانى

بين يدي عمر ..

يفعل ذلك : أما أمي فاتها زنجية كانت
لجوسي ، وقد سمعني (جملا)
(جعرانا) ، ولم يعلمني من الكتاب
حرفا واحدا .
فالتفت عمر الى الرجل وقال له :
لجئت الى تشكو عقوق ابنك ، وقد
عققتك قبل ان يعقك ، وأسأت اليه
قبل ان يسيء اليك .

جاءه رجل يشكو عقوق ابنه ،
فأحضره أبوه أمام عمر ، فأنبه عمر
فقال الابن : اليس للولد حقوق على
أبيه يا أمير المؤمنين .. ؟ قال : بلى ،
قال : فما هي .. ؟ قال : أن ينتقى
أمه ، ويحسن اسمه ، ويعلمه
الكتاب (القرآن) .
فقال : يا أمير المؤمنين : انه لم

وحدة المسلمين

قال المرحوم على الجارم :

تذوب حشاشات العواصم حسرة
إذا دميت من كف (بغداد) أصبح
ولو صدعت في سفح لبنان صخرة
لك ذرا الأهرام هذا التصدع
ولو (بردى) أنت لخطب مياهه
لسالت بوادي النيل للنيل أدمع
ولو مس (رضوى) عاصف الريح حرة
لبسات لها أكبادنا تتقطع

سيف الله ..

بهزت عبقريّة خالد بن الوليد قواد الزوم ، فنباله واحد منهم : يا خالد ،
انصدقني ولا تكذبني ، فإن البحر لا يكذب .. هل أنزل الله على نبيكم
سيفا من السماء فأعطاكم أيام ، فلا تسله على أحد إلا هزمته .

قال خالد : لا .. قال القائد : فمسميت سيف الله .. ؟

قال خالد : أن رسول الله دعا لي وقال : أنت سيف من سيوف الله ،
فكذلك سميت سيف الله .

دراسة في التراث

الرسالة

للإمام الشافعي



قرأت في وقت واحد نسختين مختلفتي التحقيق لكتاب « الرسالة » للإمام المطلبى الفقيه محمد بن إدريس الشافعي (١٥٠ - ٢٠٤ هـ) رحمه الله رحمة واسعة .

والنسختان المختلفتا التحقيق إحداها قام على تحقيقها وشرحها الأستاذ أحمد محمد شاكر ، والثانية للأستاذ سيد كيلاني .

ومن التجنى الكبير محاولة المقارنة بين التحقيقين إذ أن النسخة الثانية منهما لا تكاد تتحقق فيها أدنى شروط التحقيق العلمى ، فضلا عن خلوها من الجهد تقريبا ، وحسبنا للاستدلال السريع على هذا أن النسخة الأولى التي حققها الأستاذ المرحوم أحمد شاكر تقع في ستمائة وسبعين صفحة — فضلا عن مقدمة في نحو مائة صفحة . — والنسخة من نفس الحجم الذى تتكون منه النسخة الثانية التى لا تتجاوز عدد صفحاتها مائتين وخمسين صفحة ، مع أن النص الأسمى واحد ، ولا توجد في إحداها زيادة علمية — عن النسخة الأخرى .

فمن الواضح أن الفرق كله في التحقيق الذى أخلص فيه الجهد ...
العلامة الشيخ شاكر — جزاه الله خيرا — .

أول كتاب في علم الأصول

ولكتاب الرسالة في تاريخ العلوم الإسلامية أهمية خاصة ، إذ هو أول كتاب في علم أصول الفقه ، بل في علم الأصول مطلقا . ويعتبر الإمام الشافعي بذلك « أول من صنف في أصول الفقه .. صنف فيه كتاب الرسالة » وكتاب أحكام القرآن ، واختلاف الحديث ، وإبطال الاستحسان ، وكتاب جماع العلم ، وكتاب القياس » فنسبة الشافعي إلى علم الشرع كنسبة أرسطاطاليس إلى علم العقل « وكنسبة العروض إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي ، ونسبة الاجتماع فيما بعد إلى ابن خلدون ..

الكتاب إذن ليس كتابا عاديا في حركة الفكر الإسلامي ، بل هو معلم تراثي واضح على الطريق ، هو جدول استطاع أن يشق له طريقا انحدر به في مجرى تاريخ الفكر الإسلامي ، مكونا له وسائل خاصة وقضايا خاصة ومعلم اجتهدية خاصة ، ومن المعلوم أن البداية الواضحة التاريخية لأي علم إنما هي حصاد تطور مبشر طويل ، غير عن نفسه في أكثر من صورة ، وإن لم يكن أعطى هذه الصورة مكانها الصحيح ، وأطلق عليها اسمها العلمي المنظم .

ويخلص لنا الفخر الرازي في « مناقب الشافعي » تطور البحث في علم الأصول حتى « الرسالة » فيقول : « كانوا قبل الإمام الشافعي يتكلمون في مسائل أصول الفقه ، ويستدلون ويعترضون ، ولكن ما كان لهم قانون كلي

مرجع إليه في معرفة دلائل الشريعة ، وفي كيفية معارضتها وترجيحاتها ، فاستنبط الشافعي علم أصول الفقه ، ووضع للخلق قانونا كليا يرجع إليه في معرفة مراتب أدلة الشرع . »

كان الشافعي نفسه يعرف قيمة كتاب الرسالة من حركة العلم الاسلامي وكان يطلق على الكتاب اسم « كتابي » أو « كتابنا » ... ولا تخفى دلالة التسمية على ادراك الشافعي للعمل العظيم الذي قام به ، ولم تكن تسمية الكتاب « بالرسالة » إلا مرحلة متأخرة فرضت نفسها على الكتاب ، بسبب إرسال الشافعي له إلى عبد الرحمن بن مهدي الامام الحافظ الذي كان ينعتة الشافعي بالتفرد في دنيا العلم .

وقد ألف الشافعي الكتاب مرتين : الرسالة القديمة ويبدو أنه ألفها في مكة ، والرسالة الجديدة — التي بين أيدينا — وقد ألفها في مصر . ومن الراجح أن الرسالة الجديدة هي ما تبقى في ذهن الشافعي من الرسالة القديمة (المفقودة) وهي كذلك الحصاد الإضافي لرحلة العلم في بغداد وفي مصر وفيها بينهما .

وقد تعددت صور الاهتمام بالكتاب بذ الفقه الشافعي والقاء على تلازمته الذين اقتصروا الكتاب الواحد من أشهرهم وهو « الربيع بن سليمان » الذي اعتبر أصله أصح الأصول للكتاب — وكان لشدة اشتهاره بسماع الكتاب — يجيز نسخ كثير من الذين استمعوه ونقلوه ...

وقد ذكر ارحوم الشيخ أحمد شاكر أكثر من أربعين ساهما للكتاب تولوا نسخه وتنظيمه بطريقتهم الخاصة .

أما الذين تولوا شرحه فكثيرون حصر منهم المحقق خمسة هم : أبو بكر الصيرفي محمد بن عبد الله ، وأبو الوليد النيسابوري صاحب المستخرج على صحيح مسلم ، والفتال الشافعي محمد بن علي بن اسماعيل ، وأبو بكر الجوزي النيسابوري ، وأبو محمد الجويني الامام المعروف .



يقع الكتاب في ثلاثة أجزاء لا تفصل بينها في الحقيقة فواصل موضوعية، بل إنها لتتصل اتصالا مباشرا يجعل عملية التقسيم إلى أجزاء لا تعدو أكثر من محافظة على الأصل ، ولا فائدة واضحة لها إلا من حيث التيسير الكمي ، وحسبنا أن نعرف أن الباب الثاني يبدأ بعبارة « فمن قال قائل » ، وأن الباب الثالث يبدأ بعبارة « قال .. ولم يحظر » لنذكر أن عملية الفصل لا تتصل بالموضوعية أو المنهجية في البحث بصفة .

وكما هو المنتظر من رجل كالشافعي في كتاب تراثي كالرسالة يستهل الكتاب بأكثر من عشر صفحات في حمد الله وشكره ، والاعتراف بوحدانيته وفضله ، وما يتصل بذلك من أصناف الناس ومواقفهم تجاه عبادة الله المتفضل بالعلم ، الداعي — على لسان رسله إلى الهدى والرشد « والناس في العلم طبقات موقعهم من العلم بقدر درجاتهم في العلم به » ، فحق على طلبة العلم بلوغ غاية جهدهم في الاستكثار من علمه ، والصبر على كل عارض دون طلبه وأخلاص النية لله في استدراك علمه نصا واستنباطا ، والرغبة إلى الله في العون عليه ، فإنه لا يدرك خير إلا بعونه . »

هذه الديباجة ، أو ما يمكن تسميته (الخطبة) هي خصيصة من خصائص تراثنا ، بل وحضارتنا ، فماتطاب هذا التراث — وهذه الحضارة — ينطلقون من نقطة الاعتراف بأن الكمال العلمى مطلب عسير ، بل هو مطلب فرورى يجب أن يتزده العلماء عنه ، ليرتكوا للأفكار الأخرى فرصة الحياة والاستمرار والتقدم . إتهم متواضعون ييذلون « غاية جهدهم » ويصبرون على كل عارض لكثهم مع ذلك « مخلصو النية لله ، راغبون إليه فى العون » .. إنه الفرق بين المنهج العلمى ، وبين المنهج الجدلى ... بين المنهج الذى يضع نفسه كحلقة فى سلسلة التقدم ، وبين المنهج الذى يجعل نفسه — دون سئد — قمة التقدم ، وينفى بالتالى من حركة التاريخ كل ما لا يتسابق مع غروره ، ومع جموده ، ومع سذاجته !!

وتبدأ رحلة الكتاب بمحاولة تحديد (كيفية البيان) ولعل النظرة العابرة لهذا العنوان توحى بالشروط المطلوبة فى عملية التشريع ، فمن لم يعرف البيان العربى — الذى يعتبر القرآن ببلافته ولفته قمته — بكل ما يتطلبه هذا البيان من عناصر المعرفة ، فليس له أن يقم نفسه فى باب استنباط الأحكام أو التعميد ، إذ هو مفتقد لأول الشروط المطلوب تحقيقها فى « الأصولى » .

والبيان اسم جامع لمعان مجتمعة الأصول ، متشعبة الفروع ، فمنها ما أبانه الله لخلقه نصا مثل جبل فرائضه كالأوامر الإيجابية المطلقة بالصلاة والزكاة والصيام والحج وكالآيات القرآنية الواضحة الدلالة « **وَأَعِظُوا مَوْسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأْتَمِمْ نَهَا بِعَشْرِ فَمِيقَاتٍ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً** » فالدلالة النصية واضحة وليس وراءها شئ . ومن هذه المعانى ما أحكم الله فرضه بكتابه ، ثم بين كيف هو على لسان نبيه مثل عدد الصلاة والزكاة ووقتهما .

ومنها ما سنه الرسول عليه الصلاة والسلام مما ليس فيه نص حكم كالنوافل المختلفة ، ومن البديهى أنه « من قبل من رسول الله مفترض من الله قبل » .

ومنها ما سنه الرسول عليه الصلاة والسلام مما ليس فيه نص حكم الاجتهاد ، كما ابتلى طاعتهم فى غيره مما فرض عليهم ، مثل ضرورة اجتهادهم فى تحديد القبلة فى الصلاة بعد أمر الله لهم بالاتجاه إليها .
والأساليب القرآنية « تدل على أن ليس من كتاب الله شئ إلا بلسان العرب » « فلسان العرب أوسع الألسنة مذهباً ، وأكثرها ألفاظاً ، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبى ، ولكه لا يذهب منه شئ على علمتها (أى على مجموعها) حتى لا يكون موجوداً فيها من يعرفه » .

إن العرب قد تطلق الكلام عاماً ما تريد به العموم الذى يدخل فيه الخصوص وقد تطلقه عاماً يجمع العام والخاص معاً ، وقد تطلقه عام الظاهر تريد به كله الخاص ، وقد تطلق الجملة لا يبين معناها إلا سياقها ، وكل هذه الأساليب وأردت فى القرآن وبالتالى ، فليس بمستطيع فهم النص القرآنى ، فضلاً عن الاستنباط والفتوى ، من لم يكن ملماً بهذه الاستعمالات — وبغيرها — فى اللسان العربى .

وتشغل قضية الناسخ والمنسوخ حيزاً كبيراً من الرسالة ، ويعتبر الشافعى من أبرز من وضعوا هذه القضية فى إطارها الصحيح . ولعل حسه الإسلامى كان يوحى إليه بأن المبشرين والمستشرقين لن يلوكون قضية من قضايا

الفكر الاسلامي مثل إلحاحهم على قضية الناسخ والمنسوخ ، فلنا منهم انهما
مدخل للطعن في الاسلام .

وبما انه يكاد يكون من المستحيل على هؤلاء العجم ، الذين لا يعرفون
من لغة القرآن — إذا عرفوا — الاقتسار لا تغنى ... من المستحيل عليهم
الدراسة الشاملة الموضوعية للنصوص القرآنية وللأحاديث النبوية المتصلة
بها . وايضا لقواعد البيان العربي التي المعنا إلى طرف منها ، فوته كذلك يكاد
يكون من المستحيل أن يستوعب هؤلاء وامثالهم قضية الناسخ والمنسوخ ، وأن
يفسحوا في إطارها الصحيح ، مدركين في الوقت نفسه الأهمية المرحلية
والتاريخية والأصولية للقضية .

ويضع لنا الشافعي معالم بارزة على طريق هذه القضية ، لتسير
— كاصوليين — في طريق الاستنباط على بيئة من الأمر ... إته يقول : « أن
الله خلق الخلق لما سبق في عمله مما أراد بخلقهم وبهم ، (...) وأنزل عليهم
الكتاب تبينا لكل شيء » (.....) وفرض فيه فرائض أثبتتها وأخرى نسخها :
رحمة لخلقهم ، وبالتوسعة عليهم ، زيادة فيما ابتدأهم به من نعمة ، وأبان الله
لهم انه إنما نسخ ما نسخ من الكتاب بالكتاب ، وأن السنة لا ناسخة للكتاب ،
وانما هي تبع للكتاب بمثل ما نزل نصا ، ومفسرة بمعنى ما أنزل الله منه جملا .
« وهكذا سنة رسول الله : لا ينسخها إلا سنة لرسول الله . ولو
أحدث الله لرسوله في أمر من فيه غير ما سن رسول الله (الرسول) فيما
أحدث الله إليه ، حتى يبين للناس أن له سنة ناسخة للتي قبلها مما يخالفها
وهذا مذكور في سنته صلى الله عليه وسلم » « ولو نسخت السنة بالقرآن
لكانت للنبى فيه سنة تبين أن سنته الأولى منسوخة بسنته الآخرة ، حتى تقوم
الحجة على الناس بأن الشيء ينسخ بمثله (١) » .

ويطبق الشافعي فهمه ومقاييسه للناسخ والمنسوخ على كثير من الأحكام
الدينية التي دار حولها بعض الخلاف في الفهم كصلاة الليل وفرضية
الصلوات الخمس ، والتفرقة بين قضاء الصلاة والصوم بالنسبة للحائض ،
وعقوبة الزاني المحض ، وقضية الوصية مع الإرث أو القرابة ، وقضية اللعان
والحكم السابق فيها ، وغير ذلك من الأمور .



يتتبع الشافعي « جمل الفرائض » من صلاة وصيام وزكاة وحج ،
ويبين ما أجمل القرآن فيها وما فصلته السنة ، ويطبق — وهو ماض في بحثه
في الفرائض — نظريته الى الناسخ والمنسوخ ، ومما لا شك فيه أن نظرية
واحدة الى « الصلاة » — أو الدور الذي قامت به السنة في تحديدها على
وجهها الأكمل ، وفي تحديد أنواع النوافل — ترينا مدى العلاقة الوطيدة بين
الكتاب والسنة ، والشيء نفسه يمكن أن يطبق على الزكاة .. وعلى بقية أركان
الاسلام .. وعلى التشريعات الإسلامية كمدة المرأة ومحرمات النساء
ومحرمات الطعام « وكل ما سن رسول الله مع كتاب الله من سنة فهي موافقة
كتاب الله في النص بمثله ، وفي الجبله بالتبيين من الله ، والتبيين يكون
أكثر تفسيراً من الجبله ، وما سن رسول الله صلى الله عليه وسلم مما ليس
فيه نص كتاب الله بفرض الله طاعته عامسة في أمره تبعناه (٢) » « وأما

الناسخة والمنسوخة من حديثه ، فهي كما نسخ الله الحكم في كتابه بالحكم غيره من كتابه عامة في أمره ، وكذلك سنة رسول الله تنتسخ لسنة (٣) » .

ويضرب الشافعي أمثلة كثيرة لنسخ السنة بالسنة كنسخ الرسول صلى الله عليه وسلم لتحريم أكل لحوم الضحايا بعد ثلاثة أيام ونسخه لحد الزاني المحصن بالجلد قبل الرجم .. ثم نسخ عملية الجلد مكتفيا بالرجم ، والصلاة قعودا خلف الإمام القاعد . وغير ذلك من المسائل التي تردد الحكم فيها بين مسلمين نسخت فيهما السنة السنة .

ويرى الشافعي أن القول بالنسخ لا يجب أن يطلق هكذا دون أن يكون هناك نظر دقيق للرؤية وللراوى ولتاريخ الحكم وملايساته ، فربما كان الحكم مبتورا وفقا للقدرة الذي تلقاه صاحبه عن الرسول أو عن الصحابي .. بينما قدر الآخرين أن يتلقوا نصا آخر أكمل وأوضح .. فكل يرى أنه على حق .. وهو بالنسبة لما سمعه — على حق فعلا . ولا خلاف بين الرايين في الحقيقة .

« وثمة وجه آخر مما يعد مختلفا وليس بمختلف ، وهو أن يحتل الأمر معنيين أحدهما أولى من الآخر ، وكلاهما — جائز — في الحقيقة ، لكن السدى يرجح أولية أحدهما أن يكون أشبه بآية في كتاب الله ، مع بقاء جواز الآخر .

وايضا ، ليس هناك خلاف حين تختلف هيئة التطبيق وظروفه ، كالنهى عن استقبال القبلة عند الفائط والبول في الصحراء ، فإن هذا النهى لا يطبق عند الحضر ، ومراحضه الموجودة بالمنازل ، بحال من الأحوال » .

والأمر نفسه يقال حين تختلف شروط تنفيذ الحكم أو نتيجه أو يختلف الحكم عموما وخصوصا ، أو يكون للحديثين وجهان يميزان فيهما أو غير ذلك فإن اختلاف الحكم هنا لا يعنى أن هناك ناسخا ومنسوخا كما لا يعنى أن هناك اختلافا حقيقيا .

« أما إذا اثبت عن رسول الله الشيء فهو اللازم لجميع من عرفه ، لا يتوهم ولا يهونه شيء غيره ، بل الفرض الذي على الناس اتباعه ، ولم يجعل الله لأحد معه أمرا يخالف أمره » .

وبهذه العبارة الحاسمة الواضحة يختم الشافعي دراسته لأحدى القضايا الأصولية الكبرى (الناسخ والمنسوخ) ، ولما بكل أبعادها ، إذ لا يجوز للأصولي أن يدخل باب التفتين والاستنباط ، وهو غير مجهز بعلم الناسخ والمنسوخ .. أي بتاريخ التشريع وفلسفته ، فضلا عن أن يكون مجهزا بالأداة الكبرى لكل باحث في علوم هذا الدين ... وهى البيان العربى بأبعاده المختلفة ..



في الصفحات التالية يتحدث الشافعي عن مصادر التشريع الاسلامى .. وبعض القضايا المتصلة بها — عدا القرآن والحديث اللذين تناولهما — وهو في هذه الصفحات أكثر وضوحا والتزاما بوحدة الموضوع ، إذ أن تداعى المعانى ونزعة الاستطراد خصيصتان من خصائص الشافعي ، يلمسهما القارئ على

نحو واضح فى الصفحات الفائتة . وهما فى الصفحات القادمة أخف حدة وأقل بروزاً .

يقدم الشافعى بين يدى تناوله لمصادر التشريع عدا القرآن والحديث ثلاث قضايا أولاً حول صفة نهى الله ونهى رسوله ، ويرى أن نهى الله أو رسوله يجمع معنيين . . . أن يكون الشيء الذى نهى عنه محرماً فى الأصل لا يحل إلا بوجه دل الله عليه فى كتابه أو على لسان نبيه كتحریم كل النساء إلا أن يحلن الله بالنكاح أو ملك اليمين . . أو أن يكون الشيء الذى نهى عنه حلالاً فى الأصل لكن نهى الله المرء فيه عن شيء معين كالنهى عن الأكل مسن أعلى الصفحة فإن الأكل فى الأصل حلال .

والقضية الثانية من « العلم » وما يجب على الناس فيه ، وهو يوجز ذلك بأن العلم علمان : علم عامة لا يسع بالغا أن يجهله كالمسلوات الخمس والصوم وغيرهما ، وعلم خاصة كفروع الفرائض والأحكام مما ليس فيه نص كتاب ولا فى أكثره نص سنة فهو فرض كفاية .

وثالثة القضايا التى عرض لها الشافعى بين يدى تناوله لمصادر التشريع عدا القرآن والسنة هى « خبر الواحد عن الواحد حتى ينتهى به الى النبى أو من انتهى به اليه دونه » بشرط أن يكون كل محدث منهم ثقة صادقاً عاتلاً عالماً ملتزماً بنص الرواية حافظاً بريئاً من التدليس . . و « من قال على الرسول ما لم يقل فليتبوا مقعده من النار » ولا يستدل على أكثر صدق الحديث وكذبه إلا بصدق المخبر وكذبه . وثمة عشرات الأمثلة تؤكد صدق خبر الواحد ، ولعل تكليف الرسول الأم سلمة بأن تجيب المرأة التى سألتها عن حكم تقبيل الرجل أهله فى رمضان . . لعل هذا التكليف خير دليل على إمكانية صدق خبر الواحد، ومثله تكليف الرسول رجلاً أن يخبر أهل قباء بتحول القبلة الى المسجد الحرام واستجابة الناس له — دون الرجوع إلى الرسول — مع أن ذلك فرض — ومعلوم أن الأنبياء كانوا أحياناً كلفهم الله بتبليغ الرسالة وإمسر الناس بتصديقهم .

« ولا نستطيع أن نزعم أن الحجة تثبت به ثبوتها بالموتصل ، لأن من بعد كبار التابعين لا أعلم منهم واحداً يقبل مرسله لأمر أحدها أنهم أشد تجوزاً ، والآخر أنهم يوجد عليهم الدلائل فيما أرسلوا بضعب مخرجه ، والآخر كثرة الإحالة (٤) » .



قال الشافعى : قال لى قائل : قد فهمت مذهبك فى أحكام الله ثم أحكام رسوله ، وإن من قبل عن رسول الله فمن الله قبل ، وقامت الحجة بالأل يحل لمسلم علم كتاباً ولا سنة أن يقول بخلاف واحد منهما ، فما حجتك فى أن تتبع ما اجتبع الناس عليه ، . . . ويرد الشافعى على السؤال الذى طرحه بتناول مركز للمصدر الثالث للتشريع وهو « الإجماع » .

والاعتماد على الإجماع قائم على أساس أن الأمة لا تجتمع أبداً الا على

سنة وإن لم يكن هناك نص عليها . على أنه إذا عزيت السنة من بعضهم فانها
لن تعزب عن جميعهم ، وقد وردت الآثار تؤكد أهمية الإجماع كمصدر ثالث
للتشريع .



ويرد القياس بعد الإجماع — فى رأى الشافعى — كمصدر رابع للتشريع
... وعنده أن القياس والاجتهاد اسمان لمعنى واحد ، فكل ما نزل خاصا بمسلم
.. إما أن يكون فيه حكم لازم يجب اتباعه ، وإما ألا يكون فيه حكم بعينه
فتطلب الدلالة على سبيل الحق فيه بالاجتهاد ، والاجتهاد قياس . والقياس من
وجهين : أحدهما أن يكون الشيء فى معنى الأصل ، فلا يختلف القياس فيه .
وأن يكون الشيء له فى الأصول أشباه ، فلذلك يلحق بأكبرها شيها به .
وتتضح علاقة القياس بالاجتهاد فى تحديد الهدى على من قتل الصيد
محرمًا ... فالقياس والاجتهاد متداخلان فى تحديد مثل ما قتل من النعم .



ويرى الشافعى أن الاستحسان يعنى التلذذ ، وهو كمصدر للتشريع
« لا يجب أن يقول فيه إلا عالم بالأخبار ، عاقل بالتشبيه عليها ، وإذا كان هكذا
كان على العالم ألا يقول إلا من جهة العلم — وجهة العلم الخبر اللازم بالقياس
على الصواب » « ولو استحسّن بلا خبر لازم ولا قياس كان أقرب إلى الاثم
من الذى قال وهو غير عالم » .

« ولا يكون لأحد أن يقيس — أو يستحسن أيضا — حتى يكون عالما بما
مضى قبله من السنن وأقاويل السلف ، وإجماع الناس واختلافهم ولسان
العرب ، ولا بد أن يكون صحيح العقل ، وحتى يفرق بين المشتبه ، ولا يعجل
بالقول به دون التثبت » .

... إن المنهج الإسلامى فى البحث .. منهج موضوعى لا بهال فيه
للتعامل والأهواء والأحكام المسبقة والجرأة التى تمتن أبجدية البحث ، وتلوى
عنى النصوص لكى تصل إلى تاصيل انحرافاتنا والحصول على مبرر للعبودية
الفكرية الرخيصة .

وفى عصرنا الذى كثر فيه المفتون تصدر كلمات الاستحسان والتفضيل
دون تحقيق لأبسط أدوات المنهج الإسلامى فى هؤلاء المفتين ، ودون اتباع
لأصول منهج البحث .. وهؤلاء المفتون المنحرفون يتلذذون بذلك ، ويضمون
أنفسهم فى عداد المفكرين !!

على أن الأمور لا تسير وفق القواعد الكلية التى ذكرها الشافعى للبحث
وحسب ، بل هناك فى داخل القياس مراتب ، وهناك للاجتهاد أصول ، وإما
الاستحسان فهو لن تحققت فيه الشروط وكان أهلا للرأى .

.. وحتى الاختلاف بين أهل العلم والفقه .. لم يأت هكذا .. لأن أحدهم
تحققت فيه الشروط وبعضهم كان مجردا منها .. كلا .. فمدخول هذا الباب

كان مقيدا بالشرط ، وإنها يستند الخلاف على قواعد سلبية يستند عليها كل منهم ... وكان له في أذهانهم قواعد مرعبة ، بل إن فيه مناطق يحرم الخلاف فيها .. ومناطق يجب الاجتهاد فيها .. والتمسك بالرأى ، ولا يحل فيها التقليد .



إن محاولة الوقوف عند مصدر ترائي كالرسالة لإمامنا الشافعي لا تتف معطياتها عند حدود القضايا التي عالجها ، ولا الجديد الذي انفرد به ، وإنها يتعدى الأمر ذلك إلى كثير من المعطيات التي يعتبر المثقفون من جيلنا في ميسس الحاجة إلى التعرف عليها .
... إننا — على سبيل المثال — نستطيع التعرف على منهج البحث في عصر مزدهر من عصور حضارتنا ، ولا سيما أن إمامنا الشافعي من أبرز الممثلين لهذا الدور .

ونحن نستطيع كذلك التعرف على قدرة أسلافنا في التوليد والابتكار ... والتحليل العلمي .. ومدى الاعتماد على العقل في مجال النقل .

وحتى الشكل أو القالب ، هل يتخذ شكل التقرير دائما أو يعتمد على أكثر من أسلوب ، كما فعل الشافعي في استخدامه الحوار عبر أكثر صفحات الكتاب .

كل ذلك مفيد وحيوي بالنسبة لقضية امتدادنا الثقافي ..

بيد أن ثمة مائدة هامة يعرفها عن الشافعي تلاميذه وزيده وقارئوه ... فالشافعي ليس صانع مذهب فقه وحسب ، ولا صاحب أول عملية تقنينية « أصولية » للبحث في الفقه فقط . بل إنه — مع ذلك كله ، عالم لغة حجة ثبت ، وهو — في الرسالة — يعطينا كثيرا من الاستعمالات التي تعتبر خاصة به ، تنسب إليه ، ويحتج بها عنه . ونذكر على سبيل المثال بعض هذه الاستعمالات الشافعية .

- حذف نون المثني دون مبرر مثل (لا خفى عليه لبسهما) أي لا خفين عليه لبسهما .
- حذف النون في الأعمال الخمسة دون ناصب ولا جازم كقوله (الأقرء الحيض فلا يحلوا المطلقة حتى تفتسل من الثالثة) أي فلا يحلون .
- تسهيل الهمزة أو حذفها مع أن الهمزة أصلية مثل (يوطين ، ويستبرين) .
- العطف على المرفوع (منصوبا) بتقدير فعل محذوف مثل : هذا الصنف موجود نصا ، وموجودا علما — أي ونراه موجودا .
- استعمال « أبو » بالواو نصبا وجرا مثل : عن سالم أبو النصر (أبي النصر) ..
- نصب اسم كان المؤخر بعد الجار والمجرور أو الظرف كقوله « مكان مما القى في روعه سنته » بنصب سنته .

- جعل اسم كان ضمير الشأن والأجلة بعدها خبر مثل « فكان ما سمي حلالا حلال وما سمي حراما حرام » .
- ذكر الفعل المجزوم على صورة المرفوع مثل : لم يقيسه على الدية .. أى لم يقسه .
- اسناد الفعل الى المثنى أو الجمع مع وجود ضميره مظهرا مثل : كن النساء .
- إثبات الياء فى المنقوص النكرة رفعاً وجراً مثل (فى غير ستر على مصلى) .
- استعمال الواو بمعنى الفاء .
- ولعل هناك غير ذلك من الاستعمالات اللغوية الخاصة بالشافعى ، وهى شاهد على ثقة الشافعى بنفسه وثقة رجال عصره فيه إذ أن عصر الاحتجاج باللغة كان قد انتهى - كما هو معلوم - ومع ذلك لم يجرؤ أحد على تخطئة الشافعى .



بقيت ملاحظات مابرة حول التحقيق ..
وما لا شك فيه أن استاذنا الكبير العلامة أحمد شاكر رحمه الله - قد أسدى إلى الرسالة وإلى تراث الشافعى - رحمه الله - خدمة كبيرة ، وهو - بالتأكيد - غنى عن التقريظ من تلامذته أو تلاميذ تلامذته ..
ولقد كان ضبطه للكتاب ، ومقارنته مجموعة النسخ المختلفة - التى حصل عليها للرسالة ، وحافظته على الأصل محافظة تامة ، ومجموعة الفهارس التى أحققها بالكتاب ..
كانت هذه وغيرها سببا فى جعل التحقيق عملا طيبا لائقا بالمحقق الكبير بيد أننا كنا نأمل أن يقوم استاذنا المحقق بوضع عناوين فرعية أو هامشية للموضوعات التى يطلب عليها الانسياب والتداخل ، تنظيميا لأفكاره ، وتسهيلا بالتالى للقراء الذين بوعد بينهم وبين تراثهم ، أو الذين لا يطبقون الصبر على قراءته ، كما أن هناك بعض القضايا ، والمصطلحات الفقهية كانت فى حاجة إلى شرح .
ولست أفهم سببا لوضع ثلاث عشرة صفحة مصورة من صفحات المخطوط فى صدر الكتاب ، ألم تكن صفحة واحدة كافية للدلالة على طبيعة الجهد الذى بذله المحقق الكبير .. ؟
وإنه - بحق - لجهد غنى عن التعريف والتقريظ .. ورحم الله المؤلف والمحقق معا .

-
- (١) لم يأت الشافعى أن القرآن لا ينسخ السنة ، وعند نزول قرآن ينسخ سنة لا بد من سنة تفيد هذا النسخ لضرورة اتحاد الدرجة - فى رأيه - بين النسخ والتسوخ .
- (٢) يعنى أننا نطيع أوامر الرسول بناء على أمر الله لنا - أمرا عاما - بطاعته « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول » .
- (٣) بمعنى ضرورة اتحاد الدرجة فى النسخ والتسوخ .. فالقرآن ينسخ القرآن والسنة تنسخ السنة .
- ((كرامة الإمالة تمنى هنا كرامة الشافعى))



الدكتور احمد الشريف

انا - ولعنة الله على كلمة « انا » ، وبخاصة حينما تاتي في فاتحة الكلام - انا ممن يحبون الرياضة ، ويدعمون اليها ، ويحثون عليها كوسيلة لحفظ الصحة وصيانة القوة ، ومنذ قرابة أربعين عاما دعوت - باللسان والقلم - الى إدخال الرياضة والكشافة في غرور الازهر الشريف ، ومنذ خمسة عشر عاما قلت في بعض ما كتبت :

« ويحسن أن يكون بجوار المسجد حديقة صغيرة تطلّف جوه ، وتجل منظره ، وتجذب الناس اليه ، كما يحسن أن تلحق بالمسجد ساحة للعب القتيان ، ليأخذوا حظهم من اللعب البريء فيها بين الصلوات ، ثم يختبوا العابهم عند الأذان ، ويتعودوا دخول المسجد منذ صباحهم لأداء الصلوات في الجماعات » .

ولقد قلت في مؤتمر رياضي عقد سنة ١٩٥٤م : « ولو كان الأمر إلى » ، لجعلت في كل ملعب مسجدا ، ولجعلت على مقربة من كل مسجد ملعبا ،

بل لو قدرنا لجمالنا المسجد بلعبا ، والملاعب مسجداً ، فنزكى الرياضة ونعليها ، ونعمم العبادة ونقويها ، دون أن نفرط فى حق من حقوق الله أو حقوق بيوته التى أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، ويسبح له فيها بالغنى والإصال .
ومن الواجب أن نعلم الرياضى كيف ينظر إلى ساحة اللعب كأنها ساحة المسجد ، لأننا فى المسجد نزكى الروح ونصفيها بجلواتها ونجوياتها ، ونحن فى اللعب نصلح مسكن هذه الروح وهو البدن ، فابعد إذن لازم للروح مرتبط بها ، وما لزم شيئا تبعه فى الأهمية والتقدير .

ولكنى لاحظ أن الرياضة فى كثير من بلاد المروبة والإسلام — وبخاصة لعبة كرة القدم — قد صارت كالبلوى أو السعار ، حيث انحرفت هنا وهناك عن طريقها المقبول ، وزادت عن حدها المعقول ، فالجسماءير الفقيرة تترك أعمالها من أجل كرة القدم ، وتتجمع عند مبارياتها أضعاف أضعاف ما تتجمع فى المساجد لصلاة الجماعة أو الجمعة أو دور التعليم والمحاضرات ، أو أماكن التجمع الأخرى . وقبيل كل مباراة عامة تطوف سيارات كثيرة أرجاء العاصمة أو المدن ، حيث ترفع أصوات مزاميرها المنكرة ، مؤيدة هذا الفريق أو ذاك ، والألوف المؤلفة تتجمع حول أجهزة التلفزيون لمشاهدة تلك المباريات بحرص وشغف مجنونين ، والذين لا يملكون أجهزة تلفزيون يستجدون مشاهدته عند الجيران أو المعارف ، وكلها اقبلت مباراة توترت الأعصاب ، وثارَت الخلافات ، وأحدثت المناقشات ، كان الجميع مقلون على معركة حامية الوطيس ، وكأننا قد حررنا الديار ، وأخذنا الثار ، وغسلنا العار ، ولم يبق إلا « معركة كرة القدم » فتوج بها قائمة الانتصارات والمفاخر .

ونحن من أجل كرة القدم نشجع اللامعين بمختلف ألوان التشجيع ، بالكلام والمدح ، وبالمال والمكافآت ، وبالهدايا والمنح ، بل ندللهم فى بعض الأحيان وبعض الأوقات بما لا يجوز التدليل به ، وقد تعرضهم بطريق مباشر أو غير مباشر على كسب المباراة بأى وسيلة ، ولو كان بخشونة اللعب والتواء الطريقة ونسوة السلوك ، ويظل أنصار كل فريق يهتفون لفريقهم مؤيدين مستحئين ، ويطلبون أعضائه ويزمرون ، ولا هم لهؤلاء ولا لأولئك إلا أن يكون أعضاء فريقهم الفائزين فى المباراة مهما كان الثمن ، ومهما كان الأسلوب .



وفى الأيام الأخيرة طالعنا الصحف بأخبار تمد كالإرهاص لمضاعفات ستأتينا من وراء تلك البلوى ، ما لم يتحرك المسئولون هنا وهناك لإصلاح الحال وتوجيه الرياضة عموما ، ولعبة كرة القدم خصوصا ، نحو الأهداف الأصلية المطلوبة من وراء الرياضة .

فهذا رئيس مجلس الإدارة فى إحدى الشركات يموت بالسكتة القلبية لأن فريق الكرة الذى يحبه قد انهزم فى المباراة ، فقد نشرت صحيفة «الأخبار» بتاريخ ٢٤ مايو سنة ١٩٧٣ ما يأتى :

« مات رئيس مجلس إدارة شركة النصر لمنتجات الكاوتشوك بالسكتة القلبية عندما سجل الجارم هدف الفوز للاتحاد من مرمى الإلهى فى مباراة كأس مصر ، كان أحمد جاد الغداوى يتابع المباراة أمام الشاشة الصغيرة بين

أفراد أسرته في منزله ، وعندما أحرز الأهلي هدفه الأول قفز من مكانه ، واحتضن ابنته وابنه تعبيراً عن فرحته ، واستمر يتابع المباراة بحماس ، إلى أن سجل الاتحاد هدف التعادل فبدأ يشعر بالضيق ، ثم زادت حالته سوءاً عندما سجل الاتحاد هدف الفوز ، وقبل نهاية المباراة بثوان .. وعندما فقد الأمل في التعادل انسحب من أمام التلفزيون ، ودخل غرفته متعباً ، لينام بعد انتهاء المباراة ، ودخلت زوجته إلى الغرفة فوجدته قد فارق الحياة ، ويده على قلبه « !! »

وهذا مراقب في الامتحان السنوي بإحدى الكليات ، يأخذ معه جهاز راديو في لجنة الامتحان ، ليسمع مباراة كرة القدم ، وهو مكلف بالتنفرغ لمراقبة الطلبة أثناء الامتحان ، وقد نشرت صحيفة « الاهرام » بتاريخ ٢٤ مايو سنة ١٩٧٣ هذا الخبر بحروفه : « جهاز راديو كان يضعه أحد المرشحين في كلية تجارة القاهرة على أذنه ، ليستمع إلى مباراة الأهلي والاتحاد السكندري — أمس الأول — صادرة د. عباس شيرازي رئيس لجنة الامتحانات « !! » . وهذا زوج يتمصّب لفريق معين ، وزوجته تتمصّب لفريق آخر ، والنزاع يثور بين الزوجين كلما جرت مباراة ، وحينها يفوز فريق الزوج فيغضب زوجته بالسب والشتم والاشارة وغير ذلك من التصرفات النابية ، وبيت هذين الزوجين تملن فيه حالة (الطوارئ) كلما أقيمت مباراة ، ولا بد من صدام بين الزوجين في نهاية المباراة ، إذا تغلب أحد الفريقين على الآخر ، بل لا بد من الصدام حتى ولو تعادل الفريقان ، لأن كلا من الزوجين يمدح فريقه ويذم الفريق الآخر ، فيقع الصدام ، والحرب أولها كلام .

وليس بعيداً — إذا استمرت الحال في هذا الانحراف — أن يأتي اليوم الذي يؤدي فيه سمار التعصب لكرة القدم ، إلى أن ينتحر الشخص حدادا على فريقه المزعوم ، ويكون المنحدر قد تأثر في هذا بذلك المخبول الأمريكي الذي أطلق سبع عشرة رصاصة على جهاز التلفزيون ، لأنه رأى على شاشته الفريق الذي يحبه وقد باء بالهزيمة والفشل . فقد نشرت صحيفة « الاهرام » بتاريخ ٢٤ مايو سنة ١٩٧٣ الخبر التالي بحروفه :

« أطلق أمريكي عمره ٤٢ سنة في ولاية كاليفورنيا ١٧ طلقة رصاص على جهاز التلفزيون في بيته ، وذلك بعد أن أثارت أعصابه هزيمة فريق البيسبول الذي يشجعه . اخترقت بعض الرصاصات جدار شقة جاريته المعجوز (٧٠ سنة) . قال مدافعا عن نفسه : انه ليس من المعقول أن يفعل إنسان هذا بجهاز تلفزيونه الخاص إلا إذا كان فاقدا الأعصاب « !! » .

ومما يزيد الموقف أسفا وأسى أن نخبرنا الصحف أن فريقين في مباراة مشهودة رفضوا أن يحكم بينهم أي حكم وطني ، وأصرّوا على أن يكون الحكم أجنيا ، كأنه لا يوجد بين المواطنين من يستحق الثقة أو يعرف العدالة ، وقد حل الكاتب الاسلامي الأستاذ أحمد زين على ذلك في صحيفة « الأخبار » بتاريخ ٢٥ مايو سنة ١٩٧٣ مقال :

« أحرزني ما حدث في مباريات الكأس لكرة القدم . لم يحزنني اللعب فليست ممن يتابعونه ، ولا النتائج ، ولكن الالتجاء إلى حكم أجني ليحكم المباراة ، وتكررت هذه بمقدرة « الخواجة » في الماضي ، ذلك الزمن الذي على عليه الدهر ، يوم استطاع الاستعمار أن يقتنصنا بأن القيادة المصرية فاشلة ، وأنه لكي ينجح أي عمل من الأعمال لا بد أن يتولاه رجل أجني ، أو خبرة أجنية .

ويوم تم تأميم الاقتصاد المصرى ونقله من الخبرة الأجنبية الى الخبرة المصرية ، انطلقت أبواق كثيرة تؤكد انهيار الاقتصاد المصرى الى آخره . واليوم نجد أن ناديين من أكبر نوادى مصر لا يثقان فى كل حكام الكرة المصريين الدوليين ، والذين يحكمون أكبر المباريات فى العالم ، ويطالبون بحكم أجنبى . لماذا ؟ . لضمان العدل ، كانوا الحكم المصرى رجل متحيز أو غير عادل أو غير كفاء ، ويجب أن يأتى « خواجه » ليضمن العدالة ونضمن سير المباراة . كنت أفضل أن تلغى المباراة ، لأن ذلك خير من أن نعلن عدم ثقتنا بأنفسنا الى هذا الحد . كلمة أخيرة : إن عدد النقاد الرياضيين الذين يسفهنون ويشككون فى الحكام المصريين فى كل مباراة ، ينظرون الى الحكم الأجنبى على أنه إله ، ويكيلون له المديح والثناء ، وليس هذا غريبا « ١١ .



هكذا أصبح أمرنا فى الرياضة ، وهكذا انحرف بها أهلها الا من رحم الله ، وتلبل ما هم . فما كلمة الدين ؟ .

لقد قلت منذ عهد بعيد انه يجب العناية بتعميم الرياضة البدنية ، أو التربية الرياضية بين أبناء المسلمين ، مع الحرص على جعل هذه الرياضة وسيلة لا غاية ، فهى وسيلة لتكوين الجسم السليم الذى يحتله العقل السليم ، ويوقده الخلق القويم ، وهى وسيلة لتربية الأخلاق وغرس الصفات الحميدة التى تتكون من التمرين والتدريب .

وإذا كانت « الرياضة البدنية » تعد عند الرياضيين درجة اولية ، لأنها تهذيب فردى للبدن من طريق التمارين المختلفة ، وكانت الألعاب الرياضية عندهم درجة ثانية بعد الأولى ، لأن الألعاب الرياضية مباريات بين مجموعات تتفرع كل منها بالنظيم والتعاون الى نيل السبق والغلب ، فاننا نريد الدرجة الثالثة العليا ، وهى « التربية الرياضية » ، التى تكون فى الإنسان جسما وقها ، وعقلا وخلقا ، لأننا نحتاج الى الرياضى الصحيح : بجسمه المحكم ، وتفكيره المنظم ، وخلقه المقوم ، وإيمانه المدعم . كما نريد جيلا متيا فى بذنه وكيانه ، عميقا فى تفكيره وجنانه ، متطهرا فى خلقه وجدانه ، ثابتا فى يقينه وإيمانه ، غيورا على بلاده وأوطانه ، ومن هذا الجيل المنشود يتكون الوطن المؤمن العظيم الذى نريد .

ولذلك كان واجبا أن نعمم الرياضة السليمة القوية فى كل مكان . لا باسم البدن والوطن فقط ، بل باسم الدين أولا وقبل كل شيء . ويجب أيضا إشاعة روح الفتوة والفروسية بين شباب المسلمين ، ونشر التدريبات العسكرية وروح الجندية ، ومحاربة الترف والتميع والترهل ، وأخذ الناشئة بأساليب التنشيط والإخشيان .

ولامعنى للرياضة اذا لم يحسن صاحبها الجمع بين قوة بدنه وضبط نفسه وتحكيم عقله : وهذا ما يشير اليه القرآن الكريم ، فقد قال عن أحد الأخيار : « إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم » . وبسطة العلم إشارة الى قوة العقل والخلق ، وبسطة الجسم إشارة الى قوة البدن وصلابة الأعضاء .

والله تبارك وتعالى حينما امتدح اهل الكهف وصفهم بأنهم « غتية » ، وهذه إشارة الى القوة الحسية ، ووصفهم بأنهم « آمنوا بريهم » وهذه إشارة

وَنَالُوا بِهِم رَحْمَةَ اللَّهِ

بِأَيْدِيكُمْ وَنَجَّيْنَاهُمْ

وَنَصَّرَكُمْ عَلَيْهِمْ

وَلْيُشْفِ صُدُورُ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ

ويأمر بالثار تحت العروق
ليستل مني ضياء الشرق
وفي خفوقه .. درب غير وليد
وفي نظره .. حفر للرمود
تفقد عنه غبار الليالي السوية
وتفقد به ف هدير الحقيقة !!

.. جيتو جديد
دوجو جديد

وإماء عيف جديد

وإعفاء سمع جديد ..

وذاقت .. شواطئ على حلقها المستقيم القديم
وكيف .. من النور يسطع تحت الأديم

يتوزل ليل الكهوف القمرية
فيلسح كل بقايا الكرم في الشرة
دفر قمل كت تشق المصير

وتعول منيرة في المسير ..

.. وأسمعه لمارقأب هفاف السماء
يدق على كل باب بأحق النداء

.. تخيم صوت جبريل وقور يادع محمد
وعن رعدة الوحى وقور ليل وموقد

ونار متجاذبة من سماء الديوت

لمعكة الحق جاءت تشق الدروب ..

وتأبى في كل ليل يتهم مثيل الغياض

وفي كل ياس يذبح الزمان حرج السجاة ..



.. مع الله أنتي !

مع الروح أنتي !

.. ومن كل أفق ينادع صدرك

وفي كل صوت أبحث أركان

واسمع في كل شيء نداءك ..

.. فأسمعه في دمي ثروة للضياء

من النار والنور تشعل في إرباء

وفي خلد تبهمة كاحيدام الرياح

والعاصف المنير لإخراق البلاغ ..

وفي كبد .. مارء عبقرية الجنان

يشد من الليل نور الصباغ ..

.. ومن عظموت على انوار ارفع الشجر
 بأوقه غير له اذار الزمان ، ولها الاقمار !
 .. ومن تندر .. وهه حيمه كل المعازل
 وصوتك نيل من الحق ، نأر تشارل !
 .. ومن كل خمر النبيث فوق الصاخر
 وهم يمشون الدج من زهور الحياخر !!
 .. من الله أنت !!
 من الروح أنت !!
 تسمع او جابل ! والنور اقبل !
 وقلم زيرك من كل ليل تزلزل بأرضك
 ومن كل كأس سقم الغيا فذل لغزلك
 ومن كل سيد رضا مع اليد الزاخرية
 وذننا نأخر يلازلت شجر نقتل يابسة ..
 .. فموتك في كل روح حيا
 وصوتك للنصر ارفع صلا ..

.. متحنا ! ومرت نستق هو الشرب
 ونزعت .. حمة نرد من الليل منو الشروق !!
 فتج كاست .. حمة نرد إياه الشوق
 وشق الصدور ، وأضرم بلم مروة الزعفران
 ونجت هو لنا ، وشق لنا
 وأسعل بنا نورة البقيان !
 .. ولن يقل العاز .. إتر اعتدك في كل شت
 ولن يأخذ الدار .. إتر افتاحك في كل شت
 ولن يجمع الدار .. إلا افتاحك ذل الخلية
 وموتك للصف من كل روح غيبية ..
 .. فموتك في كل روح حيا
 وصوتك للنصر ارفع صلا ..

فما به في المروت دم الياسين
 وأيق به في الدماء رقة الياسين
 وأيق به النصر للياسين
 .. ولين نرد التراب الجيب لردنا
 وموتك بالنصر جود نيل لراينا
 مستمع من كل أفا اذا نأر الشرب
 ويخضر في الرضا لينة الطول ..
 .. تحت العرش !!

تسمع .. وجابل
 والنصر اقبل
 وهات المطر ، وهات الخيل ، وهات البارق
 وهات الصدق ، حمة مزمار طارفا ..
 وأيق "عمرية" حمة كها ..
 وذك نارها واستق من ظلالها بقايا ضحاها !
 .. وخذ نعمة من سموات طليعت ،
 وأخضت ناع
 وأيق مع الرجح في كل أفعي ،
 وفت إياه
 وذن بالعصر ، ونوق الشجر على الياسين
 وأنشبت زيرك في كل كرفه على الياسين

محمد بن الحسين
 محمد بن الحسين

الجهاد بالمال

« وانفقوا في سبيل الله ، ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة » ان الجهاد كما يحتاج الى الرجال يحتاج للمال ، ولقد كان المجاهد المسلم الاول يجهز نفسه بعدة القتال ، ومركب القتال ، وزاد القتال . . . لم تكن هناك يومئذ رواتب يتناولها القادة والجند ، انما كان هناك تطوع بالنفس وتطوع بالمال ، ولكن كثيرا من فقراء المسلمين الراغبين في الجهاد والذود عن العقيدة والحرية والكرامة والعزة الايمانية لم يكونوا يجدون ما يزودون به انفسهم ، ولا ما يتجهزون به من عدة الحرب ومركب الحرب ، وكثاوا بجيئون الى النبي صلى الله عليه وسلم يطلبون منه أن يحبلهم الى ميدان المعركة ، فاذا لم يجد ما يحبلهم عليه : **« تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون »** .

ومن اجل هذا كانت دعوة القرآن الى الانفاق في سبيل الله . الانفاق لتجهيز الفزاة ورعاية أسرهم ، وقرر القرآن الكريم أن عدم الانفاق تهلكة ، وما أكثر ما ذكر الجهاد بالمال في القرآن الكريم مقترنا بالجهاد بالنفس ، بل مقدما عليه قال تعالى : **« انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون »** وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« جاهدوا المشركين بأموالكم وانفسكم والسنتكم »** .

والجهاد بالمال يكون ببذله عن طيب نفس . دعما للجيش واعدادا للمعركة وتجهيزا للمجاهدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا »** .

ولقد ضرب الصحابة رضوان الله عليهم أروع الامثلة في المسارعة الى الانفاق في سبيل الله والجهاد بالمال دعما لاقتصاد الدولة وبنائها العسكري وتجهيز جيوش المسلمين . وفي غزوة (تبوك) كان على المسلمين أن يصدوا جموع الروم التي تجمعت في الشام لغزوهم ، وأن يعدوا لهم ما استطاعوا من قوة ، ولم يكن لدى المسلمين آنئذ من المال ما يكفي لتجهيز جيش قوى يرد غارة الروم ويصد عدوانهم ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى التطوع للجهاد والتبرع بالمال وتسابق المسلمون في

هذا الجهاد ، فكان أبو بكر أول من قدم ماله . جاء بكل ما يملك وعنده لرسول الله ، فقال له صلى الله عليه وسلم : ماذا أبقيت لك ؟ فقال : أبقيت لهم الله ورسوله .

وجاء عمر رضى الله عنه بنصف ماله ، فقال له الرسول : ماذا أبقيت لك ؟ فقال : أبقيت لهم نصف مالى ، فقال صلى الله عليه وسلم : بارك الله لك فيها أعطيت وفيما أبقيت . وتبرع العباس بن عبد المطلب بتسعين ألف درهم وعبد الرحمن بن عوف بمائتى أوقية ذهباً ، وجهاز مئسان ثلث الجيش ، وجاء جابر بن عبد الله الانصارى بحفنة من بر هى كل ما يملك . والدعوة الى الاتفاق فى سبيل الله دعوة عامة لجميع المسلمين اغنيائهم وفقرائهم قال تعالى : « ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله فممنكم من يبخل ومن يبخل فأنما يبخل عن نفسه والله الغنى وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » وقال صلى الله عليه وسلم : « أفضل الصدقات ظل فسطاط فى سبيل الله ، ومنحة خادم فى سبيل الله أو طروقة محل فى سبيل الله » .

ان المعركة التى تدور رحاها اليوم بين المسلمين وبين الصهيونية تفرض على كل مسلم ومسلمة أن يتبرع بكل ما تحتاج اليه المعركة . بالمال . بالفداء . بالكساء . بالطعام . بالدم . بالأدوية . بالخيام . بالسيارات . والتبرع يجب أن يزيد كثيراً على الزكاة المفروضة على المسلمين . يجب أن يصل الى رأس المال نفسه ، بل الى الاثير .

ان الحرب التى نخوضها الآن حرب طويلة الأمد ، ومخارمها وتضحياتها فادحة وما تحتاجه من البذل والعطاء يقدر بالمليارات لا بالالاف ، وفى المسلمين ثراء وفى المسلمين كثرة ، وهم قادرون لو صدقوا الله لولوا المعركة بكل ما تتطلبه من نفقات .

وان عدونا فى كل شبر من الارض يتبرع بأموال طائلة لمساندة العدوان والارقام التى تنشر عن تبرعات الصهاينة فى العالم لتمويل المعركة ضدنا ارقام مذهلة .

ان الدم المالى الشعبى للمجهود الحربى يربو كثيراً على الدم المالى الحكومى فاین صندوق الجهاد الذى يمول من الزكاة ومن جزء ثابت يقطع من راتب الموظفين فى الدوائر والمؤسسات والمصارف ومن التجار وأصحاب المهن .

ان واجب المؤتمر الاسلامى ان ينهض بالدعوة الى انشاء هذا الصندوق والاشراف على جمع التبرعات لتمويل الجهود الحربية للجيش الاسلامى . متى تفتح هذه الخزائن المملوءة بالأموال ؟ متى تملأ هذه المسكوك البيضاء بالارقام ؟ متى تفك الأغلال عن الأيدي المربوطة الى الاعناق ؟ متى تنقسم الأنظمة والأكسية والأغطية بيننا وبين المجاهدين بالسوية ، متى يكون الله ورسوله أحب إلينا من أنفسنا وأموالنا .

ان تمويل الحرب وإمداد المجاهدين بالمال والسلاح ، وتقديم العون الطبى والتأمين الغذائى وكفالة أسر المقاتلين وبهذا بما تحتاج اليه غريضة على كل مسلم ومسلمة : « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود واسجدوا واسموا ربكم واتقوا للخير لعلكم تفلحون وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتنبكم » .



والانتصار على العدو ودحره
يحتاج الى تضامن كل هذه الجهود ،
والى تعاون الرجل والمرأة والشباب
والفتاة ، وقد أفسح الاسلام للمرأة
فى ميدان الجهاد والاسلام وان كان
عذر المرأة فلم يكتب عليها حمل السلاح
فى المعركة الا انه لم يعقها من ابواب
الجهاد الاخرى التى تتمثل فى
الاسعاف والتمريض وامداد الجيش
بما يحتاج اليه من ماء وغذاء وكساء
ومن كلمة حق تثير القاعد وتسوقه
الى المعركة وتاريخ المرأة المسلمة فى
الجهاد تاريخ مشرف .

١ - عن انس : كان النبی صلی
الله عليه وسلم يغزو بأم سليم ونسوة
من الانتصار معه ، فيسقين النساء
ويداوين الجرحى (رواه مسلم وابو
داود) .

٢ - وقالت الربيع بنت معوذ رضى
الله عنها : كنا تغزو مع النبی صلی

ان الاخطار التى تهدد المسلمين
تحتاج الى كل جهد يبذل فى سبيل
القضاء عليها وان العدوان الذى
يقع على المسلمين يحتاج الى جهد
المسلم والمسلمة معا لردّه ودحره ،
وان ميدان الجهاد اوسع من أن ينحصر
نطاقه فى جبهة القتال وحدها ، ومن
هنا كانت أسهم الجهاد فى سبيل الله
كثيرة ومتعددة ، فمن حمل السلام كان
مجاهدا ، ومن جهز غازيا فى سبيل
الله كان مجاهدا ، ومن خلف غازيا
فى أهلة فقام على رعاية اولاده
وأسرته كان غازيا ، ومن تصدى
للحرب النفسية التى يشنها العدو
كان مجاهدا ، ومن أسهم فى التعبئة
المعنوية بالكلمة أو الصورة لم يقل
ثوابه عن ثواب المجاهد ، ومن آوى
مجاهدا أو أسعف مقاتلا أو آوى
مناضلا أو حمل جريحا فقد أسهم
فى الجهاد بنصيب وافر .

الله عليه وسلم فنسقى القوم ونخدمهم
وثرد الجرحى والقتلى الى المدينة
(رواه البخارى) .

بلائها ويفضلها على بعض الرجال
ممن لم ينشط نشاطها ولم يصنع
صنيعها .

٣ - وقالت أم عطية رضى الله عنها
غزوت مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم سبع غزوات أكلهم فى رحالهم
بما صنع لهم الطعام وأداوى الجرحى
واقوم على المرضى (رواه مسلم) .

عن عبد الله بن عباس قال :
شهدت أحدا مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلما تفرق الناس عنه
دنوت منه وأمى تدفع عنه ، فقال :
يا ابن عمارة - قلت : نعم . قال -
أرم فرميت بين يديه رجلا من المشركين
بحجر وهو على فرسه فأصابت عيسى
الفرس حتى وقع هو وصاحبه ،
وجعلت أعلوه بالحجارة والنبي ينظر
اليه ويبسم ، فنظر الى جرح يأمى
على عاتقه . فقال : أمسك أعصب
جرحها . بارك الله عليكم من أهل
بيت . لقام أمك خير من مقام فلان
وفلان . رحمكم الله بن أهل بيت .
فقال أمى : ادع لنا يا رسول الله أن
نرافقك فى الجنة ، فقال : اللهم
اجعلهم رفقاءى فى الجنة .

٤ - وأم عمارة : نسيبة بنت كعب
المازنية كان لها يوم أحد موقف من
أعظم المواقف فى الدفاع عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولندع أم
عمارة تصف لنا هذا الموقف . قالت :
خرجت أول النهار وأنا أنظر ما يصنع
الناس ومعى سقاء فيه ماء ، فانتهيت
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو فى أصحابه ، والدولة والريح
والنصر للمسلمين ، فلما انهزم
المسلمون انحزت الى رسول الله ،
فممت أبائر القتال وأذب عنه بالسيف
وأرست عن القوس حتى خلصت
الجراح الى . . وكان فى عاتقها
جرح أجوف أغور من ضربة لابن قميئة
الذى انتهز فرصة انهزام المسلمين ،
فأقبل يقول دلونى على محمد فلا
نجوت أن نجسا ، قالت أم عمارة
فما عرضت له أنا ومعصب بن عمير
وأناس ممن ثبت مع رسول الله ،
مضربنى هذه الضربة ، فلقد ضربته
على ذلك ضربات ولكن عدو الله كانت
عليه درعان .

وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يبارك جهاد المرأة ويثنى على

ودور المرأة فى هذه المعركة التى
نخوضها مع أعداء الله دور كبير ، فان
الحرب اليوم لم تعد قاصرة على ميدان
المعركة ، بل أنها تصيب الأمنين
الوادعين فى دورهم ومسئولتهم
بالقتال المدمرة والصواريخ المخيرة
وهذا يحتاج الى سهر المرأة على
الجرحى ورعايتها للمبتكرين وتثبيتها
للجزعين ، ومواساتها للمصابين .
ان واجبات المرأة المسلمة فى هذه
الحرب كثيرة متعددة ، فلتعط نساؤنا
اليوم نماذج رائعة فى الايمان والصبر
والتحمل والمشاركة ، والبطولة كما
أعطت جداتها وأمهاتها من سلفنا
الصالح .



ابواب الفرووس

رفقائهم في السلاح أبناء فلسطين .
احتشدوا بلا نسب الانسب الاسلام ،
وبلا جنسية الاجنسية الاسلام .
احتشدوا يذيقون المعتدين ، السوان
العذاب ويلبسونهم ثياب الذل
والهوان .

هنا وهناك تفتحت ابواب الفرديس
للسهداء منهم الذين اشترى الله منهم
انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون
في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا
عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن
ومن اوفى بعهده من الله .

هنا وهناك تفتحت ابواب المستقبل
للالسلام والعزة والغلبة للمسلمين :
« كتب الله لأغلبن أنا ورسلى أن الله
لقوى عزيز » .

فالله نصرك الله وذى وعدتنا به
وتبشرك الله الذى ايدتنا به : « اذ يوهى
ريك للملكة انى معكم فلبثوا السنين
الذين آمنوا سالى فى قلوب السنين
كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق
واضربوا منهم كل بنان » .

هذه هي سيناء ارض البطولة .
وهذه هي هضبة الجولان مقبرة
الصهيونية . . هنا وهناك مؤمنون
مجاهدون . هانت في اعينهم الدنيا ،
الموت احب اليهم من الحياة . . هنا
وهناك تهب روائح الجنة على ابطال
باعوا انفسهم لله ووهبوا حياتهم لله ،
وقتلوا يقاتلون أعداء الله لا يبالون
أوقعوا على الموت أم وقع الموت عليهم
فاشترى الله منهم انفسهم وأعد
للسهداء منهم جنة تمهد فرائسها
وأحسن مهادها ، فيها ما لا عين رأت
ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب
بشر . . هنا وهناك فدائيون على
الرمال المترامية والتلال المتناثرة
والصخور الصماء يقتلون عدونا
ويرغمون علمنا ويثارون لكرامتنا .
يحررون أرضنا ويستردون مقدساتنا
ويفسلون بدمائهم الزكية العار
والهوان الذى لحقنا . . . هنا وهناك
في قلب الأرض المحتلة مجاهدون
جميعهم الاسلام ، وعباتهم المقدسة
فخرجوا من كل أرض من مصر
وسوريا والكويت والسعودية والاردن
والمغرب والجزائر وليبيا والعراق ،
واحتشدوا في ميدان المعركة مع

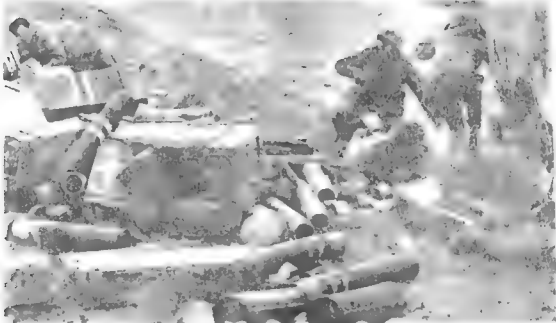
صور من المعركة

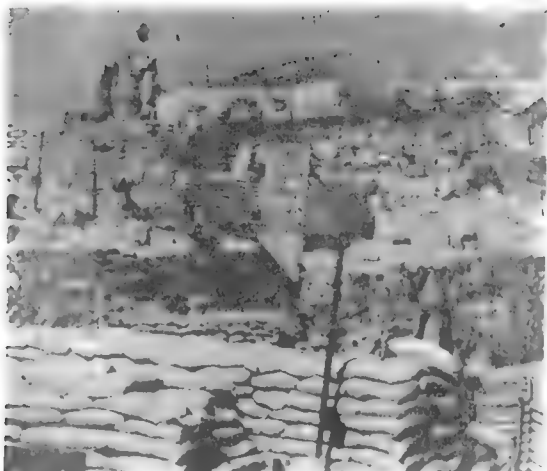
حطام طائرات العدو بدمشق



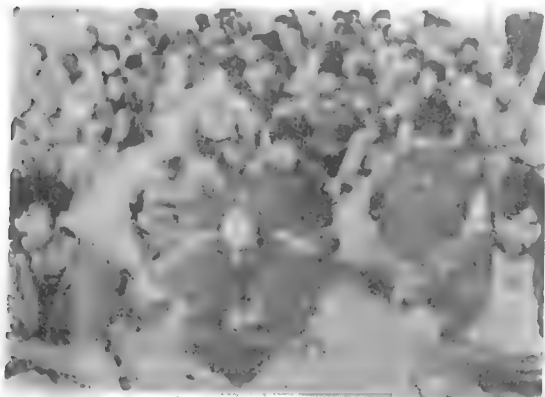
■ مراقبون سوريون أبنام حطام إحدى طائرات العدو الإسرائيلي التي سقطت في دمشق أمس ■

جنود العدو يحاولون الفرار من القصف السوري في الجولان

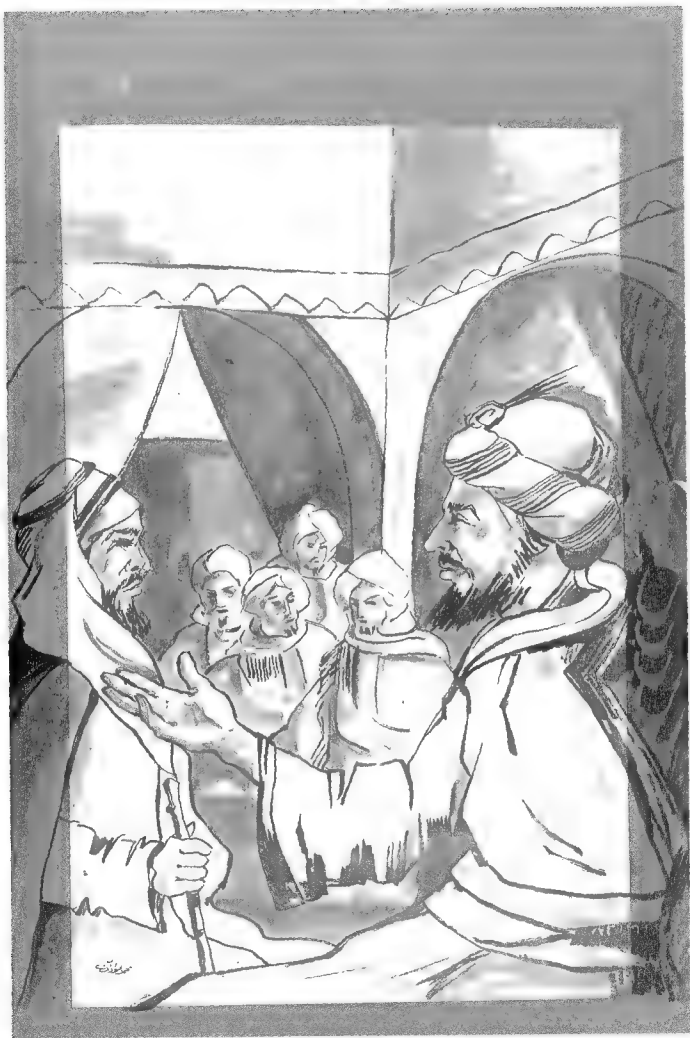




■ يقاتلون مصريون في أحد مواقع خط بارليف في سيناء بعد الاستيلاء عليه ■



■ جنود العدو الذين استسلموا القوات المصرية في سيناء ■



من قصصنا المشرق

عطار وهشام

للأستاذ : احمد العناني

عاد امير المؤمنين هشام بن الملك من مشناه في اطراف الأردن الى مقر الخلافة بدمشق ، وهو أشد ما يكون عزيمة على أن يسلك في حكمه مسلكا معينا يتسم بالحزم الشديد ، والانضباط التام .. لقد كان استجم طويلا حتى لكانا بدد عن صدره احمالا ضاغطة من الجهد والسكبت والمعاناة .. ولقد اصبح الشيب يهلا رأسه ، واخايد في جبهته ووجهه تحمل نخير الموت صامتا ولكنه نخير رهيب لا يحتاج في نطقه الى لسان .. وشيئا فشيئا اصبح يفهم موقف سلفه عمر بن عبد العزيز ، وبات يتشكك في معارضته العنيفة لحكم عمر ، ويتمنى لو استمر الخط الذي سار عليه عمر طويلا فلم ينتلم بحكم اخيه يزيد بن عبد الملك ثم خلال السنوات الخمس عشرة التي مضت على حكمه هو .. فاناس هم الناس اذا فتح لهم امير او حاكم ابواب الطمع والكسب السريع لم يتوقفوا في ذلك عند غاية ، ولم تكن لطلبهم حدود ولا نهاية .. فيا ليت أن اخاه يزيد ، ويا ليتة هو بعد يزيدتركوا الباب الذي اقفله عمر مقلدا الى الأبد ، ولكن انى لهما ذلك وهما كانا يتزعمان دعاة فتح ذلك الباب على مصراعيه .. فالآن قد فتح كما اراد فيالله كم يتسرب خلاله من قوة الدولة ومن موازينها واماؤها ، وبالله كم هي محتاجة الى ذلك كله الآن ، وهي تواجه قتالا مستمرا عنيفا في المشرق وراء النهر شرقي خراسان ، كما تواجه سنوات قطع مريرة في الشام والعراق والجزيرة ولكن لا بأس .. ما لا يدرك كله لا يترك جله كما يقال .. لسوف يحاول هشام بكل قواه ان يغلظ ذلك الباب الذي فتح

فاستنزف أموال بيت المال ، ولو نصف اغلاق .. وليحزم في ذلك حزما شديدا ، وليواجه اتهام الناس إياه بالبلخ وبما شاعوا من النعوت ، فإنه ليحس بؤادر ضعف في جسمه ، وأنه لو شك أن يقبل على ربه ، وأن الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره ، والعاقل الكيس من عاد عن خطئه مهما بلغت مشقات العودة .



لياخذ الأمور بحزم وأناة اذا ..
وليناقش هؤلاء الناس الذين يزدحمون عنده من اصحاب الحاجات ولوى المطامع والتهازين ..
وليحرص على مال الدولة اشد الحرص ، وليسـخـر ما يدخر في شد أزر المجاهدين في الشرق ، وليخفف ما استطاع عن كاهل المشدودين الى ضرائب مبهظة فيما هم يمانون من بلاد القحط وغوائل السنين ..



ولكن الناس بعد طول الرضاع يصعب فطامهم عن الباطل والشر ، هذا الديوان في كل صباح يفص بالوافدين يختلط بينهم صاحب الحق بالباطل ، والاحتجاج حقا بمدعى الحاجة ، وفيهم الذي يرفع عقيرته تساكيا من ظلامة مسئه ، وهو في حقيقة الحال ظالم سواء معند عليه .
والشعراء لا يباسون من نوال المكافآت ، وغيرهم يفتنون في اختراع المطالب والحاجات ..

وذات صباح بكر فيه امير المؤمنين الى ديوانه ، وتكاثر فيه الناس خارج الديوان يلحون على الحاجب في طلب الاذن بالدخول والحاجب حائر فيهم : هذا اموى من الأمراء انى له أن يزجره عن الحاجة في طلب الدخول ، وهذا من بعض اصهار امير المؤمنين ، وذاك شاعر لا تؤمن غدرات لسانه اذا اعيد غاضبا ، وامير المؤمنين يسير بأموره الهوينى .. يندق في مطالب الداخلين عليه ، ويتثبت ويناقش فما يخرج من عنده واحد ، حتى يفد الى الديوان اثنان مستجدان بدلا منه ..



والناس جلوس حين توقف حمار اسود عليه رجل من الخشب يعتليه شيخ نظيف الثوب والحبّة والقلنسوة ، لكن كل ذلك من قماش رخيص مسه البلى وتمزقت منه جوانب .

وبدا شكل الشيخ واضحا في الشارع امام باب الديوان ونظر فتى من الامويين يرافق اياه المنتظر للاذن على امير المؤمنين قرأى رجل الخشب على الحمار الاسود ، وثياب راكبه المهلهلة فضحك بصوت مسموع وهو يتمم « وهذا ايضا ينشد الاذن على امير المؤمنين ! » ونظرت عيون على أعناق متطاولة من جوانب المجلس الى الفتى وفيها استنكار لسلوكه واستهجان .. وتطلع الفتى الى أبيه فاذا هو ينظر اليه شزرا نظرة كرها

السخط والغضب .. ثم همس له : « ويحك .. انتضحك من رجل هو أكرم عند المسلمين من عمك أمير المؤمنين ؟ » .

وسكت الفتى وسكت أبوه وخيم على الجالسين صمت .. وبصر الحاجب بالشيخ الذي وقد فعره فأسرع الخطى نحو أمير المؤمنين ورد الشيخ التحية بوقار وصمت ، ونظر الفتى الأبوى في وجهه فأحس بهيبة ورهبة ، وبدأ عليه أنه يalom نفسه على ما بدر منه ، وما كاد الشيخ يسترد أنفاسه جالسا حتى عاد الحاجب ميمها شطره ، لم يعرج على أمير من أمراء أمية الجالسين ولا على سواهم من أهل الأحساب الرفيعة . وتقدم الحاجب بوقار وهمس في أذن الشيخ قائلا : « أمير المؤمنين يدعوك أبا محمد للدخول عليه » .



ونهض هشام بن عبد الملك بن مروان يستقبل الشيخ عند الباب ويأخذ بيده حتى يجلسه الى جانبه ، ويهني في وجهه ويهني ، وينشغل عن كل من عداه وما عداه وهو يسأله عن حاله وصحته ، ثم يسأله ان يعدد له حاجاته التي جاءت به ليصار الى تنفيذها حالا ..

قال الشيخ : أي والله قد جئتكم في غير حاجة واحدة يا أمير المؤمنين فاما الأولى والأشد الحاجة وجوبا فهي حاجة أهل الحرمين الشريفين بمكة والمدينة ، أهل الله وجيران رسول الله تقسم عليهم أرزاقهم وحقوقهم في بيت المال فانك ان تمنع ذلك عن الناس حتى تتدبر أمور المال فلا يجب ان يشمل المنع هؤلاء ، فلقد علمت فضلهم وسابقتهم ، وما أصابهم على أيديكم يا بني أمية وما بسهم من قحط وضيق .. فقال هشام غير متأخر : الآن يا أبا محمد وانك لعلى حق ثم هتف بكاتب بيت المال ان اصرف لأهل مكة والمدينة حقوقهم لهذه السنة ..

قال هشام : هذه واحدة ، فما حاجتك الأخرى .. يا أبا محمد ؟ قال عطاء بن أبي رباح فقيه أهل الحجاز ، نعم يا أمير المؤمنين أهل الحجاز من غير مكة والمدينة ، وأهل نجد كذلك هم أصل العرب وقادة الإسلام وهذه سنة مجدية فاتركوا صدقات أفنيائهم لفقرائهم ولا تأخذوا لبيت المال هذا شيئا من زكاتهم ..

قال هشام : هذه واحدة فما حاجتك الأخرى . قال عطاء : نعم يا أمير المؤمنين ، أهل الثغور كلهم متطوعة للقتال من أجل الله يجهون ظهوركم ويردون كيد عدو الله وعدوكم يحتاجون في مثل هذه السنة خاصة الى أرزاق تجرى عليهم ، وعون يساق لهم فلا يتبدد شيء من جهدهم في قتال عدوهم ، قال هشام نعم .. نعم وهذه أيضا ، واكتب يا غلام بذلك الى بيت المال .. فهل من حاجة أخرى يا أبا محمد ؟

سكت عطاء قليلا كأنها يجمع أفكاره ثم عاد ينطلق في حديثه : « أجل يا أمير المؤمنين .. لقد يكون تناهى اليك ما تسامعه الناس عن أهل النخبة .. وقد يكون حجبهم هؤلاء الناس عنك .. أن هذا الدين لا يتعامل مع غير المسلمين ممن يقيمون في ديار الإسلام بهوى أحد من الناس .. أهل النخبة يا أمير المؤمنين لا يجوز أن يكلفوا ما لا يطيقون فإن المال الذي تجمعونه منهم عون لكم على عدوكم ، وعليكم في مقابل ذلك ان تدفعوا عنهم من الشر ما تدفعونه عن أنفسكم ، فقال هشام : اليوم يا أبا محمد سأنظر في هذا

الأمر ، وسأكتب لسائر الولاة والعمال أمرا برفع كل أرهاق قد يكون أصاب أهل الذمة .

وسكت هشام قليلا ثم عاد الى بشائسته في وجه الشيخ وقال : هل من حاجة أخرى أبا محمد .. ؟

وسكت هذه المرة عطاء بن أبي رباح ، وراح يحدق فيما حواليه وينظر في حاشية هشام وخدمه نظرة ذات معنى ثم قال في خشوع ومسئولية ووقار : نعم يا أمير المؤمنين اتق الله في نفسه ، فأنك خلقت وحدك ، وتموت وحدك ، وتحشر وحدك وتحاسب وحدك ، ولا والله ما معك مما ترى من هؤلاء الناس احدا ..

وحدق الشيخ في وجه هشام ثم أدار عينيه يستعرض الجالسين فما من أحد منهم الا ويتمنى لو أنصرفت عنه عينا الشيخ ، فكانها كانت نظراته سهاما تخترق أعمالي ضمائزهم فترتد لذلك فرائصهم ..

وأما هشام فاطرق طويلا طويلا وكانما اتصل ما بينه وبين نفسه حين يراجعها ليلا في أطراف الأردن وعيناه مسمرتان الى أديم الفلك الصافي مرصعا سواده بنجوم كانها أعين تساهصات اليه بالعقاب على ما قرط في جنب الله ..

وحين رفع هشام رأسه ليسأل عطاء عن حاجة أخرى كانت الدموع تملا وجهه الذي بدا كتمثال متخشب .. وعينا حاول أن يتكلم ، ولم يعجبه من نفسه أن يضعف ذلك الضعف أمام الناس فاطرق يتشاغل بنكت البساط بعضا صغيرة كانت في يده ..

ونفض الشيخ فحيا مودعا ، ورد عليه هشام التحية وهو كانما يحيا في موكب جنازة لحبيب راحل ..

وحين خرج الشيخ رفع هشام رأسه والدموع ملء وجهه ، وأدرك تفاصيل ما جرى في لحظات غيبوبته ..

الشيخ الوقور شملت طلباته سكان مكة والمدينة ، والحجاز ونجد ، وأهل الثغور وأهل الذمة ، ولسكنه لم يطلب شيئا لنفسه يا للخجل ، ويا للتقصير .. !

ويا له من تعريط في حق فقيه الحجاز الجليل ..

وهتف : أسرع يا غلام بهذا الكيس من المال .. أسرع وأدرك الشيخ ، وفي هدوء ناوله هذا الكيس مع سلامنا واعتذارنا ..



كان الحمار الأسود ذو الرجل الخشبي قد ابتعد بالرجل الذي امتلات روحه بكنوز التقوى بأكثر مما بدا في حاله وملابسه من الفقر .. كان قد ابتعد عن الديوان مسرعا ..

وحين أدركه الغلام وهو يركض ويلهث حمد الله على توفيقه وهتف بالشيخ : يا أبا محمد .. نفسي قد أوك انتظر يا أبا محمد ..

توقف الشيخ قليلا والتفت نحو الفتي متسائلا : ماذا تريد يا غلام .. ؟

قال الغلام : أمير المؤمنين أمر لك بهذا الكيس ..

وابتسم عطاء وهو يامر الولد بإعادة ذلك لأمير المؤمنين ويقول لو كانت قطرة ماء ما شربتها .. فما يكون لي من أجر على ما جئت له الا من رب العالمين ..

الحرب النفسية

الحرب النفسية من أخطر الأسلحة التي تستخدم في الحروب لاضعاف الثقة في نفوس المقاتلين ولاشاعة البلبلة وإذاعة القلق والاضطراب في صفوف من خلفهم من أسيدهم وتسويهم ، وقد أصبحت الحرب النفسية في عصرنا الحاضر علما كبيرا يتوفر على دراسته متخصصون كبار في علم النفس والاجتماع وترصد له الأموال الطائلة التي تخصص لميزانية الحروب .

والقرآن الكريم تناول هذا السلاح الخطر ووضع المنهج الذي يجب على المؤمن أن ينتهجه في مواجهة الشائعات وأخبار المعارك الحربية التي تصدر عن الأعداء والتي يرددها الناس دون تحرر للحقائق أو تبصر بها .

أن القرآن الكريم عاب سلوك مرددي الإشاعات ومروجي الفتن فقال : **« وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذي يستنبطونه منهم »** .

أن المؤمن الواعي لا يأخذ أنباء المعارك من بيانات العدو ولا من صحف العدو ولا من إذاعات العدو ولا من أفواه السذج والجهلة ، وإنما يأخذها من قادة الأمة ومن المصادر الرسمية الموثوق بها .

وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أن يردد المسلم كل ما يسمع دون أن يتبين الحقيقة من مصدرها الذي يطمئن إليه ويثق به ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع »** .

في غزوة أحد نادى أبو سفيان : أفي القوم محمد ؟ فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يجيبوه ، ثم قال : أفي القوم أبو بكر ؟ أفي القوم ابن الخطاب . فلما لم يجبه أحد ظن أنهم قتلوا ، وانطلق يقول لأصحابه : قتلوا قد كذبتموه ، ولو صدق المسلمون هذه الشائعات وسكتوا عليها لكان لها أخطر الأثر في معنويات المسلمين ولكن عمر تصدى له وقال : أن الذي عدت لأحياء كلهم وقد بقى لك ما يسوءك ، وبهذا واد عمر الشائعة في مهدها ، وفوت على مروجها هدفه وقصده .

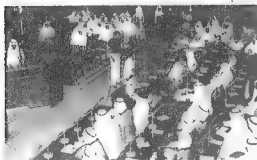
إننا يجب أن نعي ونذكر أن العدو كذاب وأنه لا تهمه الحقيقة بقدر ما يهمه إثارة الشكوك .. واجبتنا أن تصدى للحرب النفسية التي يشنها الأعداء حتى نفوت غرضهم ، ونثبت في مواقمنا ، ونهضي في جهادنا والله معنا .

أن إسرائيل الخبيثة التي عاشت على الغدر والخيانة تسعى بكل طاقاتها ، وتلجأ إلى كل أساليب المكر والدهاء لبث الشائعات ببفتا لتشكيكنا في قدرتنا وتوهين قوتنا وإثارة الفتن في صفوفنا ، وإدعاء انتصارات وهمية لهم .. فلنكن على حذر مما يبيتون : **« يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم »** .



اعداد : الأستاذ فهمي الامام

وقد وافق المجلس على تخصيص مائة مليون دينار من الاحتياطي العام للدولة لدعم معركة التحرير العربية . ● زار الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح وزير الداخلية والدفاع القاهرة ، واطمان على سير المعارك والوضع هناك . كما زار الجبهة السورية اللواء مبارك الصباح رئيس الأركان واطلع على سير المعارك وشاهد ما أنجزته القوات العربية من تقدم على طريق التحرير والنصر .



● تابعت الكويت باهتمام بالغ تطورات المعركة . . فمجلس الوزراء في حالة انعقاد مستمر وراديو وتلفزيون الكويت يتابع اذاعة انباء المعركة وعرض صور للمجزات جيش التحرير العربي .



الكويت :

● صرح امير البلاد المعظم سمو الشيخ صباح السالم الصباح بأن الكويت مستخدم كل الاسلحة من أجل صد العدوان الاسرائيلي وتحرير الارض المقتصة ، وتشجب الدعم الامريكي لاسرائيل .

● عقد مجلس الامة جلسة غير عادية لبحث دعم معركة التحرير العربية . . استمع فيها الى خطاب هام لسمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء الشيخ جابر الاحمد الصباح . . حيا فيه جنودنا الابطسال على جبهة القتال ، كما حيا قوى الثورة الفلسطينية والمجاهدين من أجل تحرير الارض ، وقال سموه : ان الكويت شمعورا منها بمسئولياتها والتزاماتها في معركة المسير قد حشدت كل طاقاتها للاسهام في معركة الشرق والخلود .

ثم القى بمساعدة رئيس المجلس كلمة جاء فيها : اننا اليوم في قلب المعركة وهي تواكب في توقيت الزمان شهر رمضان ووقائع معركة بدر الكبرى التي جعلها الله التجربة العملية الاولى للجهاد المسلح في سبيله . ثم قال : ان الكويت لم ولن تدخر وسعا في القيام بواجبها كاملا وحاسبا في المعركة بتوجيهات من صاحب السمو امير البلاد المعظم، وسمو ولي العهد .

● حفرت الكويت الولايات المتحدة من التورط عسكرياً في الشرق الأوسط ودعت إلى عقد مؤتمر للدول العربية المنتجة للبترول في الكويت لاستخدام البترول العربي كسلاح في المعركة .

● نشطت اللجان الشعبية والهيئات الرسمية لجمع التبرعات المالية من المواطنين من أجل دعم النضال العربي .. وقد تنافس المواطنون في التبرع للجهود الحربية .. وتبرع كل موظف براتب شهر .
● أقبل المواطنون بأعداد هائلة على بنك الدم للتبرع بدمائهم من أجل إنقاذ حياة ضحايا العدوان الصهيوني من عسكريين ومدنيين .

● اجتمع في الكويت يوم ١٧/١٠ المجلس الوزاري لمنظمة الدول المصدرة للنفط وأعلن عقب انتهائه جلسات المجلس من اتفاق الوزراء على تخفيض إنتاج النفط بمعدل ٥٪ شهرياً من الدول المساندة والمؤيدة للعدوان الاسرائيلي وذلك حتى تغير هذه الدول سياستها أو يتم جلاء القوات الاسرائيلية عن الاراضي العربية المحتلة .. ويتعهد القرار بمراعاة الدول الصديقة والمساندة للحق العربي ومدها بالبترول .

هذا وقد قررت دول النفط الست في منطقة الخليج زيادة أسعار نفطها الخام في الاسواق بمقدار ١٧٪ .

القاهرة :

● بدأت حرب التحرير العربية للأراضي المحتلة عام ١٩٦٧ م يوم ١٠ رمضان ١٣٩٣ هـ الموافق ٦ أكتوبر ١٩٧٣ م .

● عقد مجلس الشعب جلسة استثنائية استمع فيها إلى خطاب

عام للرئيس أنور السادات .. شرح فيه تطورات الموقف في الشرق الأوسط .. وقال : ان صواريخنا عذبة سيناء مستعدة لضرب أهداف اسرائيل ، واننا سنواصل القتال وننفع شريحة العرب والدم حتى النصر ، وان عبور القناة ، واجتياح خط بارليف معجزة عسكرية على أي مقياس عسكري . وقال : ان العالم كله يتعاطف معنا ما عدا دولة واحدة هي الولايات المتحدة الامريكية ، وفي ختام الخطاب حيا سيادته الرجال الذين يحاربون في جبهة سيناء والمرتفعات السورية وفي قلب الارض المحتلة .

● حققت القوات العسكرية المصرية انتصارات رائعة في ميدان القتال مع العدو الصهيوني فاجتازت القتال إلى ضفتها الشرقية واقتحمت خط بارليف وأخذت تتقدم داخل سيناء تطارد قلوب الاعداء وهي تردد : « الله اكبر .. الارض ارضنا » .

● افتتح الدكتور عبد العزيز كامل نائب رئيس الوزراء للشئون الدينية ووزير الاوقاف نيابة عن الرئيس أنور السادات مسجد المغفور له الشيخ خالد العبد الله السالم الصباح بشارع الهرم بمحافظة الجيزة . وقد حضر الافتتاح نائب رئيس جمهورية مصر العربية السيد حسين الشافعي والشيخ جابر العلي السالم الصباح وبعض أعضاء الجالية الكويتية .



سورية :

طائراته وما زالت تواصل دعم قواتها بالجبهة .

ليبيا :

- وضعت ليبيا بترونها لتسويل المعركة وأمدت الجبهتين المصرية والسورية بما يلزمها من بتروول .
- قررت ليبيا وقف تصدير النفط الليبي بجميع مشتقاته الى الولايات المتحدة وكانت ليبيا تصدر الى الولايات المتحدة ٢٠٠ ألف برميل يوميا كما قررت الحكومة الليبية تخفيض انتاجها من النفط بنسبة ٥ ٪
- حشدت ليبيا دبابتها وطائراتها على الجبهة المصرية لتشترك في تحرير الارض .
- تبذل ليبيا أموالها من أجل دعم قوات التحرير العربية .. وقد أقبل المواطنون فيها على التبرع للمعركة .. وتبرع كل موظف في ليبيا براتب شهر ..

المغرب :

- تشارك القوات المغربية في القتال مع القوات المصرية والسورية لحرر العدوان الاسرائيلي .
- تطوع العديد من المواطنين المغاربة للمشاركة في قتال العدو .

الجزائر :

- ساهمت الجزائر في المعركة برجالها وعتاها وطيرانها .. وقد وضعت كل امكانياتها وطاقتها في خدمة المعركة ..

اليمن :

- تدفق المواطنون اليمنيون على التطوع للقتال بجانب القوات العربية والمسلحة في دحر العدوان الصهيوني وتحرير التراب العربي .

● أعلن الرئيس حافظ الاسد في خطابه بالاذاعة ان القوات السورية حررت عدة مواقع في جبل الشيخ والتينطرة وغيرها في الايام الاربعة الاولى من القتال واشهاد ببطولة الجيش السوري وبذور القوات العراقية والمغربية .

● تخوض القوات السورية قتالا عنيفا ضد قوات الاحتلال الاسرائيلي، وتكبده خسائر فادحة في الافراد والمعدات وترغمه على التراجع والتقهقر .

● تسقط سورية الطائرات المغيرة على دمشق وبعض المدن السورية الاخرى والتي أخذت تقصف المواطنين بصورة وحشية بعد ان فشلت في ميدان القتال وقد أسرت سوريا العديد من الطيارين الاسرائيليين .. ووجد احدهم مشدودا بالسلاسل حتى لا يهبط بالمظلة امام الخطر .

● تدفقت القوات العراقية والكويتية والمغربية والسعودية والاردنية على الجبهة السورية للوقوف بجانب اخوانهم السوريين في وجه العدو الاسرائيلي .

السعودية :

- تبرع جلالة الملك فيصل بببالغ كبيرة دعما لسوريا في نضالها ضد قوى البغي والشر .
- تقف القوات السعودية بجانب القوات العربية المتمركزة على جبهة القتال في هضبة الجولان لمصد العدوان الاسرائيلي وتحرير الارض .

العراق :

- دعمت العراق الجبهة السورية بسنة عشر الف مقاتل عراقي ومائة دبابة .. وتدخل طيرانها في المعركة لمصد غارات العدو واستقطا

تونس :

● ساهمت تونس في حرب التحرير بقواتها العسكرية .. وبادرت بإرسال بعض جنودها الى ميدان القتال .

السودان :

● اعلن السودان أن أرضه امتداد لأرض المعركة وسماه مفتوحة للطيران العربى .. وأنه يقف بكل ثقله مع دول المواجهة .

● شاركت السودان بقوتها العسكرية في صد العدوان الاسرائيلى ووضعت كل إمكانياتها في خدمة المعركة .

فلسطين المحتلة :

● يقوم الفدائيون بأعمالهم البطولية ضد قوات العدو وأماكن تجمعهم ومؤسساته ومطاراته .. وضرب مؤخره قواته .. وقطع امدادات عن جبهة القتال وقد كبّدوا العدو خسائر مادية في المنشآت والمعدات والأفراد .

الأردن :

● اشتركت بعض القوات الاردنية الخاصة للمساهمة في القتال الدائر على هضبة الجولان والمرتفعات السورية .

ابو ظبى :

● تساهم دولة الامارات مساهمة فعالة بالمال والعتاد من أجل دعم القوات العربية حتى يتحقق النصر النهائي أن شاء الله .

قطر :

● تبرعت قطر بمبالغ مالية طائلة لدعم الجهود الحربى .
سلطنة عمان :

● قرر مجلس الوزراء في جلسة استثنائية اقتطاع ٢٥ ٪ من رواتب جميع الموظفين في السلطنة لصالح الجهود الحربى .. وقرر ايضا إرسال بعثتين طبيتين لكل من القاهرة ودمشق .

أخبار متفرقة ..

● أرسلت اوغندا جزءا من قواتها للوقوف بجانب العرب في حربهم العادلة ضد اسرائيل وقد حضر الرئيس الاوغندى اسرائيل من مواصلة الاعتداء على الاراضى العربية ونصحها بالانسحاب قبل أن تباد عن آخرها .

● قطعت عدة دول علاقاتها الدبلوماسية باسرائيل احتجاجا على عدوانها على العرب ..

● قام وزراء خارجية كل من الكويت والسعودية والجزائر والمغرب بأجراء مباحثات في البيت الأبيض مع الرئيس نيكسون شرحوا خلالها حقيقة الموقف في الشرق الاوسط .. وناقشوا الدعم الأمريكى المتزايد لاسرائيل .

● تطوعت ٧ منظمات للشباب المسلم في اندونيسيا للانضمام الى صفوف العربية للقتال ضد اسرائيل .. واستنكرت المنظمات امداد الولايات المتحدة لاسرائيل بالأسلحة .. وطالبت بوقف تلك المساعدات فوراً .

● أكدت السلطات الاسبانية أن القواعد الأمريكية في البلاد لن تستخدم في الحرب الدائرة حاليا في الشرق الاوسط .

الفتاوى

حج المرأة بغير زوج أو محرم

السؤال :

هل يجوز للمرأة أن تؤدي فريضة الحج بغير زوج أو محرم ؟

الجواب :

ذهب الحنفية والحنابلة الى أنه يشترط أن يصحب المرأة في سفر الحج زوج أو محرم ، فإن لم يوجد أحدهما فلا يجب عليها الحج إذ تعد غير مستطيمة له والله تعالى يقول : (**ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا**) وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **ألا لا تحجن امرأة إلا ومعهما محرم** » وعنه أنه قال « **لا تسافر امرأة ثلاثة أيام إلا ومعهما محرم أو زوج** » والسر في ذلك أمن الفساد . وذهب الشافعية الى أنه لا بد أن يصاحبها في سفرها للحج المفروض زوج أو محرم أو نسوة ثقات . وذهب المالكية الى أنه لا بد في سفرها للحج أن يصاحبها زوج أو محرم أو رفقة بأمونة ، وإذا سافرت مع الرفقة المأمونة لا بد أن تكون هي أمينة في نفسها وإلا لا تسافر معهم ، والله أعلم .

موت المحرم

السؤال :

إذا مات المسلم وهو محرم ، فهل يغسل ويصلى عليه أم لا ؟

الجواب :

يغسل من مات محرما ويكفن في ثوبي احرامه ، ويصلى عليه صلاة الجنازة ويدفن ولا تغطى رأسه بالكفن ولا يقربه طيب ، ففي الصحيح عن ابن عباس : « **بينا رجل واقف مع النبي صلى الله عليه وسلم بعرفة إذ وقع عن راحلته فوثقته (دقت عنقه) فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اغسلوه بهاء وسدر ، وكفنوه** »

فى ثوبيه ولا تحنطوه (الحنوط الطيب الذى يصنع للميت) ولا تخمروا (تغفلوا) رأسه ، فان الله يبعثه يوم القيامة يلبى « وفى رواية عنه ، زيادة (ولا تمسوه طيبا » .

وفى سنن أبى داود عن ابن عباس قال : (أتى النبى صلى الله عليه وسلم برجل وقصته راحلته وهو محرم فقال كفنوه فى ثوبيه واغسلوه بماء وسدر ولا تخمروا رأسه فان الله يبعثه يوم القيامة يلبى) وفى رواية (ولا تحنطوه) وفى رواية (ولا تقربوه طيبا) .

قال أبو داود : سمعت أحمد بن حنبل يقول فى هذا الحديث (أى برواياته) خمس سنن : (١) كفنوه فى ثوبيه ، أى يكفن الميت فى ثوبين . (٢) واغسلوه بماء وسدر ، أى أن فى الغسلات كلها سدرًا . (٣) ولا تخمروا رأسه . (٤) ولا تقربوه طيبا . (٥) وكان الكفن من جميع ما له . والله أعلم .

الاحتكاح فى الاحرام

السؤال :

هل يجوز للحاج او المتمر ان يتكحل وهو محرم ؟

الجواب :

روى عن ابن عمر أنه قال : يتكحل المحرم بأى كحل شاء ، ما لم يكن فيه طيب ، قالت عائشة لامرأة سألتها : اكتطى بأى كحل شئت غير الاثمد ، أما أنه ليس بحرام ولكنه زينة ونحن نكرهه (المحلى لابن حزم) .
وعلى ذلك يجوز للمحرم استعمال القطرات والمراهم لمعالجة العيون وغيرها وليس عليه شيء فى ذلك ما دام جميعها ليس طيبا ولا زينة ، والله أعلم .

فى النكاح

السؤال :

إن والذى عقد نكاح شقيقتى البالغة من العمر ست عشرة سنة اجباريا على رجل لا ترغبه وانها تحاول قتل نفسها بكل طريقة وتقول الموت احب الى منه .

الإجابة :

مثل هذا الزواج منكر لا يجوز ولا يصح فى أصح أقوال العلماء لأن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن تزويج النساء إلا باذنهن ، وأخبر أن البكر إنهما سكوتها ، ولما أخبرته صلى الله عليه وسلم جارية أن أباهما زوجها وهى كارهة خيرها النبى صلى الله عليه وسلم بين البقاء معه أو الترك ، وما اعتاده بعض البادية وغيرهم من تزويج الأبتكار دون مشاورتهن فهى عادة سيئة باطلية ، والفصيح لا يأتى بخير بل يضر الجميع ، والذى أرى أن توسلوا أهل الخير فى منسوخ هذا النكاح فإن أجدت الوساطة فذلك المطلوب ، والا فامرضوا الموضوع على المحكمة وهى إن شاء الله تحل المشكل . وفق الله الجميع .

صلاة التسابيح

روى ابن عباس رضي الله عنهما حديثاً في صلاة التسابيح ، فهل هذا الحديث صحيح أم لا ، كما أرجو أفادتي عن كيفية هذه الصلاة ، وهل هي كالصلاة المعروفة ، ويزاد عليها التسابيح .

خليل إبراهيم — القاهرة
إمام مسجد الرحمة

هذا أولاً نص الحديث :

عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس بن عبد المطلب : يا عباس يا عمه ألا أعطيك إلا أمنحك إلا أحبوك عشر خصال إذا أنت فعلت ذلك غفر الله لك ذنبك أوله وآخره قديمه وحديثه خطاه وعنده صغيره وكبيره سره وعلايته عشر خصال أن تصلي أربع ركعات تقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة فإذا فرغت من القراءة في أول ركعة وأنت قائم قلت : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر خمس عشرة مرة ثم ترقع فتقولها وأنت راقع عشرا (عشر مرات) ثم ترفع رأسك من الركوع فتقولها عشرا ثم تهوي ساجدا فتقولها وأنت ساجد عشرا ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشرا ثم تسجد فتقولها عشرا ثم ترفع رأسك فتقولها عشرا فذلك خمس وسبعون في كل ركعة تفعل ذلك في أربع ركعات إن استطعت أن تصلها في كل يوم مرة فافعل فإن لم تفعل ففي كل جمعة مرة فإن لم تفعل ففي كل شهر مرة فإن لم تفعل ففي كل سنة مرة فإن لم تفعل ففي عمرك .

ثانياً : جاء في شرح سنن أبي داود لمحمد شمس الحق العظيم آبادي : وفي التلخيص (كتاب لابن حجر في تخريج الأحاديث) والحق أن طريقه كلها ضعيفة ، وأن كان حديث ابن عباس يقرب من شرط الحسن إلا أنه شاذ لشدة الفردية فيه وعدم المتابع والشاهد من وجه معتبر ، وموسى بن عبدالعزيز (الذي تفرد برواية الحديث) وإن كان صادقا صالحا فلا يحتفل منه هذا التفرد ، وقد ضعفها ابن تيمية والمزي ، وتوقف الذهبي ، حكاه ابن عبد الهادي عنه .

ثالثاً : قال ابن قدامة في المغني ط ٣ ص ١٣٢ ج ٢ : سئل الإمام أحمد عن صلاة التسابيح ، فقال : ما تعجبني ، قيل له : لم ؟ قال : ليس فيها شيء يصح ، ونفض يده كالمنكر . ؟

لغة القرآن

حول مقال اللواء الركن محمود شيت خطاب ، لغة القرآن الكريم ، والمنشور في العدد ١٠٤ نقول : إن المسألة حول المؤتمر الذي عقد في برمانا

لبنان من أجل استخدام اللغة العامية كأداة للاستعمال والتعبير ، تحت دعوى تبسيط اللغة الفصحى وتقريبها للألسنة والأذهان بمسألة لا تحتاج إلى ريبية وشك ، بل هي مسألة يقين ، ولا يمكن أن تحمل على الفية الحسنة والرغبة الصادقة في خدمة اللغة العربية ، والا فنانا أن اخفنا المسألة على هذه المحمل نكون قد هدمنا ديننا بأيدينا ، وساعدنا المتأمرين على تحقيق هدفهم الخبيث الذي ينشدونه ويسعون إليه ، وإن كل داعية إلى اللهجة العامية بطريق مباشر أو غير مباشر ، يعتبر عدواً للقرآن الكريم ، ويعتبر من المعاملين على هدم اللغة العربية والتراث العربي الأصيل .

ولقد دأب الاستعمار والصهيونية في القرن الماضي ولا يزال على محاربة اللغة الفصحى وعلى هدم القرآن الكريم ، ونزعه من الصدور التي حفظته ووعته ، وأنه ليعلم أن تحطيم اللغة العربية يتبعها ضياع القرآن الكريم ، ولقد أثبت أن هذه الطريقة هي أسلم الطرق ولكي يستطيع أن يجد آذانا صاغية وأن يجد من يعينه على تنفيذ مخططاته ، فإنه يقوم بتغليف دعوته الهدامة بما يجعلها ، فيأني ليقول على السنة دعائه أنه يريد تبسيط اللغة العربية وتقريب مناهجها ، وهو يفتح من وراء هذه خرائثه ليدها بالمال لتجد وسط الغافلين طريقاً ، وأنه لما يحزن ويؤلم أن الكثير من المثقفين لا زالت هذه الأساليب تنطلي عليه ، ولا تزال الفشاة على عينيه ، ولا زالوا يتقبلون هذه الأمور بنية حسنة فيها رسمته الصهيونية وخططه الاستعمار .

إن أي مسلم غيور على دينه ، وأي عربي حريص على لغته يجب عليه ألا يعرف الوسط في هذه الأمور ، وأن يعتبرها شراً يراد به لفسه ودينه ، وعليه أن يعلن رفضه لها فإن فيها السم المنافع والخراب الأكيد . وكل هذه الدعوات ستؤول إلى الفشل إن شاء الله ، ما دام الوعي منتشراً بين أبناء العالم الإسلامي لأمثال هذه الدعوات التي تتبناها الصهيونية ، ولقد تكلم الله سبحانه بحفظ دينه وكتابه « أنا نحن نزلنا الذكر وأنا له لحافظون » .

خليل محارب السويدي

ثمن المجلة

يسرني أن أبدى رأيي كأحد المواطنين المسلمين أولاً والعرب ثانياً من المجلة العربية الغراء (الوعي الإسلامي) مبدياً رأيي فيها تعرضه هذه المجلة القيّمة من موضوعات شيقة وأبواب رفيعة الأدب .

ثمن المجلة الزهيد يشجع المسلمين في البلاد العربية على تداولها وقراءتها والحفاظ على اقتنائها شهرياً دون تكلف أو عسر قد يدفعهم إلى الإهمال في شرائها وإن ثمنها الزهيد مقابل ما حوته تلك المجلة الغراء من موضوعات خلابة ليعد كرمز بسيط دمعني لأن أقول إن المسؤولين عن هذه المجلة الغراء يقدمونها كهدية للناطقين بالضاد وكعمل كبير لتعليم الناس أمور دينهم وتغذيتهم بالقرآن والسنة والموضوعات الدينية التي تبعث فيهم القية الروحية وتبصرهم بأمور دنياهم ودينهم وتحثهم على الاجتهاد والجهاد لاعلاء كلمة الله . وآمل أن يظل سعرها الزهيد كما هو على مر السنين ليستطيع الفقراء من المسلمين العارفين منهم بأمور دينهم شرائها ولا يحرمون من عظيم فائدتها كما تبصر غير العارفين بذلك الأمور الجليلة .

عبد الفتاح صابر اسماعيل

بأقلام القراء

واعدوا لهم ما استطعتم من قوة

أمر يوجهه ربنا تبارك وتعالى الى المؤمنين في كل زمان ومكان يحدد فيه مستوى الاعداد وهذنه وجزاءه .

« واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم . وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون » .

والاعداد هنا شامل موجه الى الأمة كلها رجالها ونسائها .. شبابها وشيوخها .. والنفير العام واضح في قوله تعالى : « انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وانفسكم في سبيل الله فلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » .

دفاعا عن حق مغتصب : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله » .. حق أخواننا في فلسطين الذين تواطأت الدول الكبرى على اخراجهم من ارضهم ..

ومن هنا كانت قداسة المعركة .. لأنها معركة حق .. قداسة جمعت حولها قلوب العرب والمسلمين والاحرار في كل مكان في العالم — وأشارت في وضوح — الى أمداء الانسانية والحرية .

والأمر في الاعداد — الى جانب شموله — داع الى بذل أقصى الجهد الذي تقرر عليه الأمة .. وهذا قوله تعالى : « ما استطعتم » .

وهذه الجهود تتجه الى كل طاقات الأمة المادية والمعنوية : قوة النفس ، قوة الخلق قوة السلاح بریا وبحريا وجويا قوة التنظيم الشعبي . أجهزة الحرب النفسية .. كل ما تتقوى به الأمة على أعدائها .

ثم يخصص ربنا بعد هذا التعميم فيقول ومن رباط الخيل .. ذلك لأن

الخيـل وقت نزول القرآن كانت تمثل أقوى قوة ضاربة .. وكانت من أهم المقاييس لمعرفة قوة الجيش .. والتطور في عدد الخيل في جيش النبي عليه الصلاة والسلام ما بين غزوة بدر وغزوة تبوك يعطينا صورة واضحة لهذا السلاح ..

ففي غزوة بدر — في العام الثاني من الهجرة — كان عدد الخيل اثنين والأبل سبعين . وكان عدد المحاربين ٣٠٥ ..

وتدعم قاعدة الاسلام في المدينة قوتها العسكرية .. وبخاصة من رباط الخيل ماذا كنا في العام التاسع من الهجرة وفي غزوة تبوك وجدنا مجموع عدد المحاربين يرتفع الى ثلاثين الفا وعدد الخيل الى عشرة آلاف .

هذه القوة عندما وصلت الى مشارف دولة الروم وأقامت في تبوك بضـع عشرة ليلة لم يحاول الروم الاشتباك معها ، بل أفرأوا الانسحاب بجيشهم الذي كانوا وجهوه الى الحدود ليحتمي داخل بلاد الشام وحصونها .. وكان انسحابهم قبل وصول جيش المسلمين ..

انسحاب الروم اذن كان راجعا الى قوة الاعداد .. الى التطور الضخم الذي حدث في جيش الاسلام ما بين غزوتي بدر وتبوك في مدى سبعة أعوام .. وهي القوة التي أدت في العام الثامن من الهجرة — أي قبل تبوك — الى فتح مكة ولم تحدث الا اشتباكات محدودة جدا في انفساء دخول جيش خالد ..

المستوى :

يتودنا هذا الى المستوى الذي تتطلبه منا الآية الكريمة .. مستوى الاعداد القادر على ردع الخصم .. ويبدو هذا في قول ربنا « ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم » .

الآية تحدد هذه العداوات : فمنها قسم ظاهر « عدو الله وعدوكم » وتسم خفي « وآخرون من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم » .

هؤلاء الذين يقفون ضد الحق هم أعداء الله وأعدائنا .. وجهادهم فرض علينا يلتقي عنده ديننا وديننا .

ومستوى الاعداد — كما يبدو من الآية — ينبغى أن يكون قادرا على « ارباب الخصم » . والعلم في عالمنا المعاصر من أهم أسلحة المعركة .. وهو يدعم ويثبت ايماننا العميق بحقنا .. ايماننا واعيا مبصرا يتحول الى طاقة عملية منتجة .

وهذا المستوى ينبغى — بعد هذا — أن يتوفر فيه معادل آمان ..

أى أن التفوق فيه — بحكم الآية — يصل الى ارباب الخصم الظاهر والخصم الخفى الذى لا نعرفه سواء فى ديارنا أم فى خارجها .

فى عصر الطائرات والصواريخ والاستخدام العلمى للحرب النفسية بكل أجهزتها .. والتنسيق الدقيق بين الجبهة والقاعدة .. والنفس الطويل فى الحرب تتنوع المداخل التى يحاول بها الخصم توهين قوتنا ماديا ونفسيا .. بالضغط الاقتصادى .. بالدعاية .. بالمتحان الصبر الطويل — لتماسكنا الداخلى .. بالتشكيك فى قوتنا .. بالحرب الموجهة الى القيادة .. سلسلة لا تنتهى من الأسلحة يستخدمها ويحاول استخدامها أعداؤنا .. وعلينا أن نؤكد — بما استطعنا — قوتنا وثباتنا وتفوقنا فيما نستطيع التفوق فيه من أعداد يمكن أن يوقف عدونا عند حده .

الجزء :

ويدعوننا ربنا الى أن يبذل كل منا فى المعركة .. وإن جزاء ذلك سيعود اليه « وما تنفقوا من شئ فى سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون » .

وما تنفقوا من شئ .. أى شئ صغر أو كبير ..

الأخوة والأخوات الذين تبرعوا بدمائهم .. اسطوانات الدم الطاهر التى جاءت بالطائرات من أبنائنا فى الخارج ..

أخواننا الصغيرات صاحبات الأيدي المبصرة اللاتى تبرعن بدمائهن ثم بعمل أدوات للتبريض تصلح للبيدان .

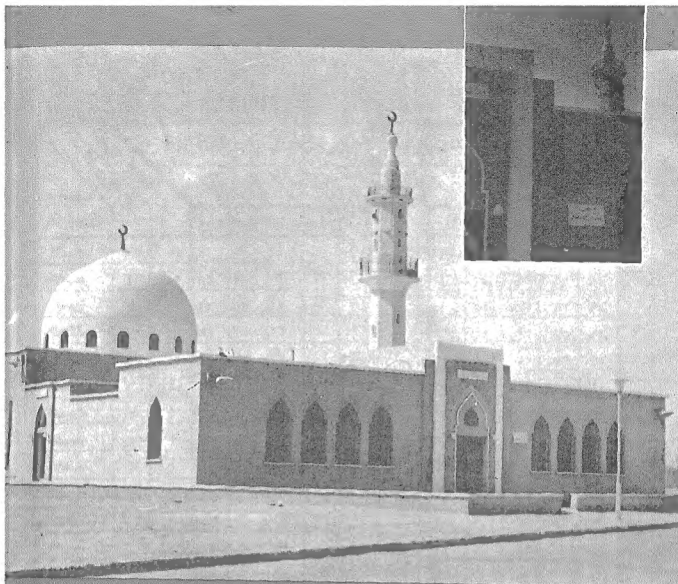
أخواننا اللاتى رأين المعركة بنور القلب .. فكانت قلوبهن اشراقا ونبض رحمة .

أبناء هذه الأمة المجاهدة وبناتها وعيالها وفلاحوها ومثقفوها وأصحاب المهن الحرة الأحرار .. الذين خرجوا عن بعض ما لهم طيبة بذلك نفوسهم .. الذين عاهدوا ربهم على زيادة الانتاج فى هذه المرحلة الدقيقة .

ماذا ما تحقق للأمة ذلك كله استحققت نصر الله الذى سجله فى خواتيم الآية « وأنتم لا تظلمون » . ونستطيع أن نفهمها بآثارها فى الدنيا والآخرة ..

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحاي لدولة الكويت

المواقيت الشرعية بالزمن الفروي						المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي						شوال ١٤٢٢ أكتوبر ١٩٧٢		الأيام الأسبوع
عشاء	عصر	ظلم	شروق	فجر	مس	عشاء	عصر	ظلم	شروق	فجر	مس			
١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	٢٧	١	السبت
١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	٢٨	٢	الأحد
١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	٢٩	٣	الاثنين
١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	٣٠	٤	الثلاثاء
١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	٣١	٥	الأربعاء
١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	٣١	٦	الخميس
١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	٣١	٧	الجمعة
١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	٣١	٨	السبت
١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	٣١	٩	الأحد
١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	٣١	١٠	الاثنين
١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	٣١	١١	الثلاثاء
١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	٣١	١٢	الأربعاء
١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	٣١	١٣	الخميس
١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	٣١	١٤	الجمعة
١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	٣١	١٥	السبت
١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	٣١	١٦	الأحد
١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	٣١	١٧	الاثنين
١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	٣١	١٨	الثلاثاء
١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	٣١	١٩	الأربعاء
١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	٣١	٢٠	الخميس
١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	٣١	٢١	الجمعة
١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	٣١	٢٢	السبت
١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	٣١	٢٣	الأحد
١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	٣١	٢٤	الاثنين
١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	٣١	٢٥	الثلاثاء
١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	٣١	٢٦	الأربعاء
١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	٣١	٢٧	الخميس
١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	٣١	٢٨	الجمعة
١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	٣١	٢٩	السبت
١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	٣١	٣٠	الأحد



عثمان بن مظعون

- اسمه :** عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهيب بن حذافة الجحفي .
- اسلامه :** اسلم بعد (١٢) رجلا .. وهاجر الى الحبشة هو وابنه الساهب الهجرة الاولى في جماعة . ولما بلغهم ان قريشا اسلمت رجعوا فدخل عثمان في جوار الوليد بن المغيرة ، ثم رد جواره وأعلن رضاه بما عليه النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه .
- وفاته :** توفي بعد شهوده بدر في السنة الثانية من الهجرة ، وهو اول من مات بالمدينة من المهاجرين وأول من دفن بالبقيع منهم . وقبله النبي وهو ميت .. ولما توفي ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الحق بسلفنا الصالح عثمان بن مظعون » .

« إلى راغبى الاشتراك »

وصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك في المجلة ، ورغبة منا في تسهيل الأمر عليهم ، وتقديرا لفضائح المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات متدفقا من الآن ، وعلى الراغبين في الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع منهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر :	المقاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة .
السودان :	الخرطوم : دار التوزيع — ص.ب : (٣٥٨) .
ليبيا :	طرابلس الغرب : دار الفرجاني — ص.ب : (١٣٢) .
المغرب :	بنغازي : مكتبة الخراز — ص.ب : (٢٨٠) .
	الدار البيضاء — السيد أحمد عيسى ١٧ شارع الملكي .
تونس :	مؤسسات ع بن عبد العزيز — ١٧ شارع مرثسا .
لبنان :	بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .
عمان :	مؤسسة ١٤ أكتوبر للنشر والتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٧) .
الأردن :	عمان : وكالة التوزيع الأردنية : ص.ب : (٣٧٥) .
	جدة : مكتبة مكة — ص.ب : (٤٧٧) .
	الرياض : مكتبة مكة — ص.ب : (٤٧٢) .
	الخبر : مكتبة النجاح الثقافية — ص.ب : (٧٦) .
السعودية :	الطائف : مكتبة الثقافة — ص.ب : (٢٢) .
	مكة المكرمة : مكتبة الثقافة .
	المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .
المراق :	بغداد : وزارة الاعلام — مكتب التوزيع والنشر .
البحرين :	المكتبة الوطنية : شارع باب البحرين .
قطر :	الدوحة : مؤسسة العروبة — ص.ب : (٥٢) .
ابو ظبي :	شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .
دبي :	مطبعة دبي .
الكويت :	مكتبة الكويت المتحدة .

ونوجه النظر إلى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

- ٤ للدكتور محمد البهي هل للمسلمين في بلادهم وضع ...
- ١٢ للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي رمضان والعيد وتحول القيم ...
- ١٩ للدكتور محمد سلام مخدور الاوامر الشرعية ودلالاتها ...
- ٢٧ للاستاذ أبو عيد الرحمن بن عقيل حتمية الاعساد في القصاص ...
- ٣٥ للواء محمود شيت خطاب المسجد المهجور ...
- ٣٨ للدكتور محمد الدسوقي الامام الشيباني ...
- ٤٦ للاستاذ حسن عيسى عبد الظاهر ماذا يعني العيد في نظر الاسلام ...
- ٥١ للاستاذ عزت محمد ابراهيم صفة ام قصد وتديبر ...
- ٥٥ للاستاذ سعيد زايد فكرة الواجب في الاخلاق ...
- ٥٩ للشيخ أبو الوسا الراعي مفهوم الزهادة في الاسلام ...
- ٦٣ للاستاذ عبد الله سالم شوه التاريخ فانسخ منه الشباب ...
- ٦٧ للاستاذ عبد الستار محمد فيض مكتبة المجلة ...
- ٦٨ للتحريير مائدة القارئ ...
- ٧٠ للاستاذ عبد الحليم عويس الرسالة للامام الشافعي ...
- ٨٠ للدكتور احمد الشرياصي حينما ننحرف بالرياضة ...
- ٨٦ للاستاذ محمود حسن اسماعيل صوت المعركة ...
- ٨٨ للتحريير الجهاد بالمال ...
- ٩٠ للتحريير جهاد المرأة ...
- ٩٢ للتحريير ابواب الفردوس ...
- ٩٤ للتحريير صور من المعركة ...
- ٩٦ للاستاذ احمد العناني عطاء وهشام (قصة) ...
- ١٠١ للتحريير الحرب النفسية ...
- ١٠٢ اعداد : الاستاذ فهمي الامام اخبار العالم الاسلامي ...
- ١٠٦ للتحريير الفتاوى ...
- ١٠٨ للتحريير بريد الوعي الاسلامي ...
- ١١٠ للتحريير باقلام القراء ...
- ١١٢ للتحريير مواقيت الصلاة ...
- ١١٤ للتحريير مسجد عثمان بن مظعون ...